


تقييدات ابن المفتي في

تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها

ابن المفتي حسين بن رجب شاوش

جمعها واعتنى بها

الأستاذ فارس كعوان






الموضوع | تاريخ الجزائر

العنوان | تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها

التأليف | ابن المفتي حسين بن رجب شاوش

دراسة وتحقيق | فارس كعوان

عدد الصفحات | 118
قياس الصفحة | 23×15
رقم الإيداع القانوني | 2008-3439
ردمك | 978 9947 867 07 5
الطبعة | الأولى 2009







مقدمة

لعلّ أهم ما يلاحظه أيّ دارس للفترة العثمانية بالجزائر هو قلّة الكتابات التاريخية المحليّة المتعلقة بهذه الفترة، وذلك رغم طول تلك الفترة وغناها بالأحداث التاريخية الهامّة، وفي اعتقادنا أنّ ذلك يرجع إلى عدد من العوامل أبرزها قلّة الاهتمام بالتّاريخ من كُتّاب ذلك العصر وهذا ما أكّده الحسين الورثيلاني، وكذلك عدم اعتناء غالبية الحكّام الأتراك بتشجيع الكُتّاب على التدوين التاريخي؛ إمّا لكون غالبيتهم ممّن لا يفهمون العربية أو لكونهم من العسكر وبالتّالي فهم لا يقدّرون قيمة الكتابات التاريخية.

ولهذا لم تظهر في ذلك العصر سوى بعض المحاولات التي أراد أصحابها حفظ الحوادث التاريخية من النسيان، ومن أهم هذه المحاولات ما قام به أحد الكُتّاب من كراغلة الجزائر والذي لم يُعْرف اسمه ولكنه اشتهر بابن المفتي لكون أبيه حسين بن رجب شاوش كان مفتيا حنفيا.

وقد ظلّ كتابه مخطوطا لم يُنْشر كاملاً، ولكن مالكيه نشروا أجزاءه في عدد من الكتب والمجلات بالعربية والفرنسية، ونتيجة لاعتقادنا بأنّ الكتاب قد يكون ضاع بوفاة مالكيه فقد عمدنا إلى جمع نصوصه العربية وترجمة نصوصه التي نُشرت بالفرنسية كمحاولة منّا لبعث هذا التراث، في انتظار ظهور النّص العربي الكامل للكتاب.

وأمّا طريقتنا في العمل فإنّنا عمدنا إلى دمج النّصوص المترجمة بالنّصوص العربية لإخراج نص متكامل وذلك بعد صياغة النّصوص الفرنسية بلغة قريبة من لغة النّص العربي بالاعتماد أولا على القسم الذي نشره نور الدين

عبد القادر وعلى بعض المصادر العربية للعهد العثماني بالجزائر.

وأود أن أشيد بجهود أخي وصديقي محفوظ بوكراع الذي شجّعني على إخراج هذا الكتاب وساعدني في صياغة الترجمة إلى العربية فله منّي خالص الشكر والتقدير.

وفي الختام فإنّ هدفنا من هذا العمل هو خدمة التراث التّاريخي لـ(الجزائر العثمانية)، هذا التراث الذي يجب أن تتضافر جهود كثيرة على إعادة بعثه وإحيائه.

سطيف: يوم 05 يوليو 2008

فارس كعوان

fares_kaouane@yahoo.fr

تنبيهات

- قسم الباشوات كلّه مترجم عن دلفان "المجلة الآسيوية 1922".
- قسم العلماء هو دمج لنص نور الدين مع نص ديفو.
- ما بين معقوفتين [ ] هي العناوين التي وضعناها والزيادات خارج النّص.
- ما بين قوسين ( ) هي الزيادة التي انفرد بها نص نور الدين عن نص ديفو.
- ما بين قوسين مضاعفين (( )) هي الزيادة التي انفرد بها نص ديفو عن نص نور الدين.




الدراسة
أضواء على المؤرخ الجزائري
ابن المفتي وتقييداته




الدراسة

أضواء على المؤرخ الجزائري ابن المفتي وتقييداته

لهذا الكتاب الذي نقدمه للقراء والباحثين في تاريخ الجزائر أهميّة بالغة، باعتباره أحد المصادر النّادرة للعهد العثماني، ولكنّه رغم هذه الأهميّة ورغم استفادة عدد من الباحثين منه منذ أمد طويل إلاّ أنّه ظلّ مبعثرا بين ثنايا الكتب والمجلات ولم يُجْمَع في سِفْرٍ واحدٍ ويُنْشَر بنصه العربي كاملا -حسب علمنا- حتىّ اليوم.

وكان أوّل من استفاد من إحدى النسخ المخطوطة من الكتاب ونشر مقتبسات منها بالفرنسية هو الباحث الفرنسي ألبير دوفو Albert Devoulx الذي ترجم قسما منه -هو قسم العلماء- ونشره في المجلة الإفريقية Revue Africaine ضمن بحثه الذي يحمل عنوان:«**البنايات الدينية القديمة في مدينة الجزائر**» والذي طبع فيما بعد في كتاب مستقل ولكن دوفو لم ينشر النّص العربي للكتاب، كما أنّه لم ينشر إلاّ قسما من الكتاب وهو قسم العلماء، وحتىّ هذا القسم لم يسلم من الحذف والاختزال.

وبعد مضي أكثر من نصف قرن على عمل دوفو قام باحث فرنسي آخر هو جورج دلفان George Délphin بترجمة القسم الآخر من الكتاب؛ قسم الباشوات إضافة إلى خطبة الكتاب التي تعرّضت هي الأخرى للاختزال.

وبعد استقلال الجزائر حصل الأستاذ الجزائري نور الدين عبد القادر على نسخة مخطوطة من الكتاب، ولكنّه للأسف الشديد عوض أن يقدمها

كما هي كاملة فإنّه اكتفى بنشر قسم منها وهو قسم العلماء وحتىّ هذا القسم عمد إلى اختصاره والتّصرف فيه كما صرّح هو بذلك.

وهكذا ظلّ هذا السِفْر النّفيس عبارة عن مقتبسات مبعثرة لم يجمعها جامع وهذا هو الدافع الرئيسي لاهتمامي به.

أولا- أقسام الكتاب:

ينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام هي: خطبة الكتاب أو المقدمة ثمّ قسم الباشوات ثمّ قسم العلماء، وقد أكّد ذلك نور الدين عبد القادر حين قال: «إنّ أهم ما في تقييدات ابن المفتي هي الأخبار التي أوردها بعد ذكر أسماء حكام مدينة الجزائر مع بعض التفاصيل، الأخبار التي تتعلّق بطبقة المثقفين وأهل العلم والمعرفة، وهذا هو القسم الطريف من هذا التأليف الصغير اللطيف».

وقال مرّة أخرى في مقال لـه لم نجد اسم المجلة المنشور بها: «يعرض المؤلف أوّلا تاريخ أسرته...، ثمّ يقدّم قائمة بتسلسل تاريخي لحكّام الإيالة مع معلومات موجزة من 1515م إلى 1753م...والجزء الأحدث عهدا والمفيد حقّا من المخطوط هو ذلك المتعلق بالعلماء وهو يأتي مباشرة بعد قائمة حكّام الإيالة».

ومن الطبيعي أن يلجأ ابن المفتي إلى هذا التقسيم باعتباره كان شائعا بين كُتَّاب عصره، فقد وجدنا المؤلف التونسي حسين خوجة المتوفى سنة 1145هـ/ 1732م قد قسّم كتابه المُسَمى «**ذيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان**» نفس التقسيم وبنفس الترتيب: مقدمّة ثمّ قسم الباشوات ثمّ قسم العلماء.

وبالنسبة للأقسام المنشورة من الكتاب فهي:

أ- **خطبة الكتاب أو المقدمة**: وقد نشر مقتطفات منها دوفو، ودلفان في ترجمته لقسم الباشوات قي المجلة الآسيوية، كما نشر نور الدين عبد القادر قسما من هذه الخطبة.

ب- **قسم الباشاوات**: وهو القسم الذي قام بترجمته دلفان وينقصه نص متعلق بـ(علي باشا) قام بنشره على حِدَة نور الدين عبد القادر في مقالته بالفرنسية التي ذكرناها سابقا وهي بعنوان: «**واقعة من تاريخ الجزائر القديمة: قصة جيرونيمو**»، كما نقل دوفو من هذا القسم فقرة بالعربية وهي: «تَوَلَّى خِضر باشا مرّة ثالثة سنة 1113هـ ثمّ مات خِضر باشا المذكور مخنوقا في تلك السنّة على يد كُوسَه مصطفى خْدِيمْ الباب العالي».

ج- **قسم العلماء**: وهو القسم الذي ترجم منه دوفو، الذي نشر أيضا نصًا منه في المجلة الإفريقية في مقال لـه بعنوان:«**رفع القبائل لأحد الباشوات**» المنشور في المجلة الإفريقية(1869) ونشر هذا القسم مع بعض الحذف والاختصار نور الدين عبد القادر في كتابه المذكور سابقا.

ثانيا- التعريف بالمؤلف:

- مولده ونشأته:

ظلّ مؤلف هذا الكتاب مجهول الاسم لأنّه لم يذكره في تأليفه هذا رغم أنّه ذكر اسم أبيه واسم جدّه، كما لم نجد لـه ولا لوالده ترجمة في المصادر التي رجعنا إليها، ولحسن الحظ فإنّ المؤلف قد ترك لنا في كتابه هذا معلومات عنه وعن أسرته بإمكاننا أن نعدّ من خلالها ترجمة له.

ورغم أنّ المؤلف لم يذكر تاريخ مولده إلاّ أنّه ذكر معلومات بالإمكان التّعرف من خلالها على تاريخ تقريبي لمولده، وهذا ما فعله الدكتور أبو القاسم سعد الله عند تعرضه لهذا المؤلف، والتي خَلُصَ من خلالها إلى أنّه -أيّ المؤلف- قد يكون من مواليد عام 1095هـ/ 1688م لأنّه ذكر في كتابه أنّه سمع في صباه عن شُهْرة المفتي محمد بن سعيد قدورة الذي توفي عام 1107هـ/ 1695م فيكون عمر المؤلف حينئذ حوالي سبع سنين.

وقد عاش المؤلف بمدينة الجزائر وتزوج بها وأنجب أولادا قال إنّه فقدهم فأصابه الحزن في أواخر حياته، ولم يذكر المؤلف ما إذا كان أولاده هؤلاء قد ماتوا أم فارقوه.

أمّا والد المؤلف فهو المفتي الحنفي حسين بن رجب شاوش، وقد وصفه ابنه في كتابه هذا بـ: «الشيخ الإمام الصالح الكامل الأصولي الفقيه المتبحّر» وذكر أنّه ولد بمدينة الجزائر وتوفي بها وأنّه قد تولّى الفتوى سنة 1102هـ/ 1691م وعمره ثلاثون سنة ومعنى هذا أنّه ولد سنة 1072هـ/ 1661م، وهكذا فقد أنجب ولده-مؤلف الكتاب- وهو في الثالثة والعشرين من عمره ولا يقدّم المؤلف تاريخا لوفاة والده.

وذكر المؤلف أيضا أنّ والده هو أوّل[1] كرغلي يتولّى منصب الإفتاء، وقد كان الكراغلة قبل ذلك محرومين من تقلّد المناصب الهامّة نتيجة الصراع الذي كان محتدما بينهم وبين الأتراك.

وقد صان المفتي حسين بن رجب شاوش هذا المنصب وأعطاه حقّه، كما أنّه كان يتصف بأخلاق عالية، ممّا جعله يتمتّع بحظوة كبيرة لدى الحكّام

(1) المؤلف نفسه يذكر عدداً من الكراغلة الذين تولوا الإفتاء قبل والده أمثال محمد بن قرمان ومحمود بن قرمان.

الأتراك، فكانت كلمته مسموعة لديهم فاستغلّ ذلك في قضاء مصالح النّاس عند السلطة الحاكمة، حتىّ أنّه كان يفضل المصالح العامّة على مصالحه الخاصة، ولا يعني هذا أنّه كان مهملا لولده كما استنتج الدكتور سعد الله، وممّا يؤكد هذا وصايا الوالد لولده المؤلف بأن يكون طموحا وأن يهتمّ بالعلم.

وعُزِل والد المؤلف في عهد الداي (أهشي مصطفى) الذي ولّى مكانه (محمد النيار) الذي قال عنه المؤلف أنّه أهان العلم وأهله، وأنّه سنّ سُنَّة الوقوف أمام الحُكَّام بينما كان الحُكَّام في السابق هم الذين يقفون للعلماء إجلالاً لهم.

وأمّا جَدّ المؤلف فهو (رجب بن محمّد)، وقد جاء للجزائر وهو شاب مراهق ليمارس التجارة برفقة أخ لـه أكبر منه، في السفن التي كانت ترسلها الدولة العثمانية لإعانة الجزائر آنذاك، ولما بلغ هذا الجدّ سن الكهولة «ولع بالسفر في البحر طلبا لنيل المغانم ثمّ أصبح ورديان باشي» أي رئيس الحرّاس على سفينتين من نوع الغلياطة كانت تمتلكها امرأة تدعى: (زهرة باي)، ثمّ قُلِّد رتبة شاوش العسكر بمدينة الجزائر من سنة 1064هـ/ 1653م إلى سنة 1082هـ/ 1671م، ولمّا انتهت مدّة خدمته كشاوش فإنّه تقلّد رتبة بولوكباشي، ثمّ أحيل على التقاعد، وأكمل بقيّة حياته في الدار التي تقع أعلى حي السويقة الذي يوصل إلى جامع علي بتشين وكان يعرف سابقا بـ: «كالي موسى» و مرض هذا الجدّ بحصر البول، ثمّ توفي ودفن بالمقبرة التي هي قرب الفخار خارج باب الواد بين ضريحي الثعالبي ومحمد السعدي.

شيوخ المؤلف:

ذكر المؤلف في ثنايا كتابه أسماء ثلاثة من شيوخه وهم:

01- الشيخ محمد بن نيقرو:

هو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن موسى المعروف بالنيقرو، الأندلسي الأصل الجزائري المنشأ والولادة والقبر، درس على أبيه إبراهيم بن النيقرو، كما درس على مشايخ آخرين، وصفه تلميذه -مؤلف الكتاب- بـ:»العالم الفقيه النحوي الأصولي البياني المنطقي المُتَكَلّمي الحَيْسُوبي الفرائضي المحدّث»، تولّى الإفتاء المالكي في 27 ذي القعدة سنة 1150هـ/ 1727م بعد وفاة المفتي محمد بن أحمد بن مبارك بثلاثة أيام، وكان يجمع بين الفتوى والخطابة والتدريس بالجامع الأعظم ورواية الحديث بزاوية الأندلس وقت الزوال في ثلاثة أشهر هي رجب وشعبان ورمضان.

وذكر المؤلف أنّ شيخه كانت لـه زوجتان وله ابن من زوجته الثانية وعدد من الأولاد من زوجته الأولى، كما أنّه كان على غير وفاق مع خليفته في الجامع «محمد بن هدى» إلى درجة أنّ هذا الأخير حرّض عليه العامة فتجاسروا عليه وطلبوا سماع الخطبة من نائبه «محمد بن هدى».

كما أنّ بن نيقرو لم يكن على وفاق مع قاضي بيت المال محمد بن ميمون -صاحب كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية- وقد تعرّض بن نيقرو لمحنة كبيرة، وتوفي بذات الجَنَب في 16 ذي الحجة 1152هـ/ 1739م وخَلَّفَ عددا من الأولاد منهم سي أحمد الذي قال عنه المؤلف «هو الآن بمسجد ستنا مريم ويسرد الحديث بزاوية الأندلس» وولده الثاني محمد وقال عنه المؤلف «فقيه نجيب تولّى مكان أبيه بالتدريس بجامع ميزومورطو بباب عزون».

02- عمّار المستغانمي:

هو عمّار بن عبد الرحمان -التلمساني كما ورد عند دوفو- المستغانمي الأصل والولادة الجزائري المنشأ والدار قال عنه المؤلف بأنّه: «فقيه بياني أصولي نحوي متكلّم منطقي فرائضي، صالح، جاهل بأحوال الدنيا بعيد عن أمورها «عاصر محمد باشا [1718-1724] وعبدي باشا [1724-1732] وكانا يعظمانه ويتبرّكان به، وكان فاضلا لكنّه كما قال المؤلف: «كان عاجزا عن الخطبة لا صوت لـه عندها، يكتسيه الخجل إلى أن يعرق مع أنّه في تقريره للعلم جَهِيرٌ بالكلام مُعبّر ذو همّة ونفس عالية» وأضاف المؤلف أنّ شيخه كان يعاني من زوجته التي كانت تختلس الأموال من جيبه كما كان يعاني من صهره أخي زوجته «محمد بن هدى» الذي كان خليفته في الجامع الكبير.

وقد اشتغل عمّار المستغانمي بعدد من الوظائف كالكتابة لأوقاف الجامع، وكان يتلّقى عن هذه الوظائف ما يربو عن 50 ريالا في الشهر، ولكنّه كان مُسرِفا في مصاريفه إلى درجة أنّ الديون تراكمت عليه إلى أن بلغت 4000 ريالا جُلُّها بقيت بذمته يوم وفاته، وقد مرض بالجَنَب ومات يوم الاثنين 15 صفر 1144هـ/ 1731م ودفن بجانب صهره والد زوجته سيدي هدى أعلى جبل بوقندورة فوق ضريح محمد السعدي الزواوي.

03- مصطفى العنابي:

هو الشيخ مصطفى بن رمضان العنابي، ولد بمدينة عنابة وكان من أصل تركي أي أنّه من كراغلة المدينة، وبعد أن درس على مشايخ مدينته شدّ الرِّحال إلى مدينة الجزائر طلبا للجاه والنفوذ، وهناك تزوّج وتولّى منصب القضاء على المذهب الحنفي.

وفي مدينة الجزائر تلقّى إجازات علمية على بعض علماء عصره، حيث أجازه العالم محمّد بن شقرون بن أحمد المقري التلمساني الذي لازمه اثنا عشر سنة ودرس عليه التوحيد والحديث وأصول الفقه والمنطق وعلم التصوف وغيرها من العلوم، وتلقّى منه إجازة عام 1087هـ/ 1676م، كما أجازه الشيخ محمد الطيّب بن عبد القادر الفاسي عند قدومه للجزائر عام 1103هـ/ 1691م.

وقد درّس الشيخ مصطفى العنابي بمدينة الجزائر وتخرّج على يده علماء من مختلف البلدان من أشهرهم الشيخ مصطفى برناز التونسي، وتوفي بمدينة الجزائر سنة 1130هـ/ 1717م وترك بعض المؤلفات منها:

- أرجوزة في الفقه الحنفي(الفرائض) لازالت مخطوطة.
- كتاب:«الروض البهيج في أحكام العزوبة والتزويج»في بابين لم يتبق منه إلاّ بابه الأوّل وهو أيضا مخطوط.

- رحلات المؤلف:

يذكر المؤلف في كتابه أنّه زار «قارا حصار» وهي مسقط رأس جدّه، كما أخبر أنّه زار قبر الباشا «حسين ميزومورطو» في جزيرة «شيو» وهي تقع

في بحر إيجا، ولا يُعقَل أن يكون المؤلف قد زار هذين المكانين دون أن يزور عاصمة الخلافة العثمانية «إسطنبول»، وقد كانت حينذاك عاصمة العالم الإسلامي كما كانت تَعُجّ بالعلماء من كلّ بلاد، كما أنّ المؤلف قد يكون زار مصر وسوريا والحجاز كما رجّح الدكتور سعد الله.

- **عصره:**

عاصرابن المفتي [1095هـ/ 1683م-بعد1166هـ/ 1753م] المرحلة الأخيرة من مراحل الحكم العثماني بالجزائر، وهي مرحلة الدايات، وقد بدأت هذه المرحلة باغتيال الحاج علي آغا رغم قوّته وانفراده بالحكم، ليُتْرَك المجال للديوان وهو بمثابة برلمان لتحديد خَلَفِه، وذلك بالرجوع لطائفة رياس البحر وانتخاب أحد أفرادها وهو الرايّس محمّد التريكي الذي عُيِّن دايا على البلاد.

وكان الدايات الأوائل من قدماء رياس البحر، وتمكّن هؤلاء من الحدّ من سلطة الديوان والاستئثار تدريجيا بشؤون الحكم، وكان الصراع محتدما بين الجيش البري «الميليشيا» والجيش البحري «طائفة الرياس»، حيث رغبت كلّ فئة في أن يُخْتَار الداي من بين رجالها.

وفي عهد الدايات صار اجتماع الديوان تشريفيا أكثر منه تنفيذيا، وآل الحكم المطلق للحاكم ومجموعة من الموظفين الكبار الذين عُرِفوا في المصادر الأجنبية باسم «القِوَى» وهم: الخزناجي وآغا الصبايحية ووكيل خراج البحرية وبيت المالجي وخوجة الخيل.

وفي هذا العصر أيضا -أي القرن الثامن عشر- تضاءلت مداخيل الأعمال البحرية التي كان يقوم بها الأسطول الجزائري، وتناقص عدد سفن

البحرية الجزائرية ليصل إلى 12 سفينة فقط أغلبها غير قادرة على غزو البحر.

ويرجع هذا الانخفاض إلى عدّة عوامل أهمّها الخسائر المادية والبشرية المرتفعة التي سببتها الغارات البحرية الأوروبية على الجزائر، وما تكبّده الأسطول الجزائري من جراء ذلك، كما أنّ سفن الإيالة لم تعد تشكّل خطرا كبيرا على السفن الأوروبية التي بدأت تتطوّر في تلك الفترة، وقد تناقصت مداخيل القرصنة منذ تلك الفترة دون أن تنضب نهائيا.

وبالنسبة للعلاقات مع الخارج فإنّ الإيالة خاضت حروبا على حدودها الشرقية «تونس» وحدودها الغربية «المغرب»، كما أنّ العلاقات استمرت متوتّرة مع الإسبان الذين كانوا يحتلون وهران.

ثالثا- الكتاب:

- عنوانه:

لم يضع المؤلف عنوانا لكتابه هذا، وقد ذكر دلفان أنّ الجزء الذي عثر عليه من الكتاب به هذه العبارة: «تاريخ الباشوات الذين حكموا جزائر الغرب»، ولكن هذا العنوان كما هو واضح لا ينطبق إلاّ على قسم الباشوات أمّا الكتاب كاملا فيمكن تسميته «تاريخ باشوات وعلماء جزائر الغرب» وهي نفس التسمية التي وردت عند المؤرخ أحمد توفيق المدني، ولكن المؤلف يقول عن ما دوّنه أنّه تقاييد «des notes» دون أن يكون هذا عنوانا للكتاب، وفي هذا الشأن كتب أبو القاسم سعد الله قائلا: «الغريب أيضا أنّ ابن المفتي الذي أخفى اسمه تواضعا أو لسبب آخر لا نعلمه لم يجعل عنوانا لما قام به، ولعلّ أقرب إلى الصواب تسمية عمله «تقييدات» لأنّها في الواقع كذلك، ونفس الرأي عند نور الدين عبد القادر الذي سمى الكتاب تقييدات أو تقاييد».

- تاريخ تأليفه:

من خلال الإطلاع على أقسام الكتاب تبيّن لنا أنّ المؤلف قد أنهى القسم الأوّل من كتابه وهو «قسم الباشوات» بذكر ولاية الداي إبراهيم خوجة الخزناجي الذي توفي في 22 شوّال سنة 1158هـ/ 1745م هذا الأخير الذي قال عنه ابن المفتي: «وجُدِّدَت له التولية أربع مرّات قبل تحرير هذه التقاييد»، أي أنّ المؤلف بدأ يحرّر كتابه بعد عام 1149هـ/ 1736م وأمّا قسم العلماء فقد انتهى منه عام 1166هـ/ 1753 بذكر تولية المفتي المالكي الحاج الزروق بن

عبد اللطيف الذي قال عنه: «وهو المتولّي اليوم» والمعروف أنّ هذا المفتي قد تولّى في ذي الحجة 1166هـ/ سبتمبر-أكتوبر 1753م، وقد تولّى بعده المفتي عبد القادر بن محمد البراملي في صفر 1169هـ/ نوفمبر1755م ومعنى هذا أنّ المؤلف قد أنهى كتابه في تاريخ محصور بين ذي الحجة 1166هـ/ سبتمبر-أكتوبر 1753م وصفر 1169هـ/ نوفمبر1755م.

وقد لاحظنا عند اطلاعنا على أجزاء الكتاب أنّه عبارة عن مسودّة وليس الشكل النّهائي للكتاب وهو ما أكّده المؤلف نفسه.

- دوافع التأليف:

ذكر المؤلف في خطبة الكتاب أنّ ممّا دفعه لتأليف هذا الكتاب تدارك النقص الملحوظ في التأريخ لمدينة الجزائر وأخبار علمائها إذ أنّ أغلب ما كُتِبَ في هذا الموضوع ظلّ حَسْبَهُ «غير مُقْتَبَس» أي لم ينقله الكُتَّاب ليحفظوه من الضياع، كما أنّ المؤلف قد أراد أن يتسلّى بكتابة هذا الكتاب بعد أن فقد أولاده وأصابه الحزن.

- منهجه:

لجأ المؤلف في القسم الأوّل من الكتاب إلى المنهج الحَوْلي أي التأريخ بالسنين، كما لاحظنا أنّ المؤلف قد امتاز بالدقّة في سرد الحوادث والأخبار والموضوعية في نقل الروايات، وبذلك استحقّ صفة المؤرخ الحصيف، وفي القسم الثاني اتبّع نفس المنهج لكن بتفصيل أكثر من القسم الأوّل، محاولا نقل صورة واضحة عن عصره وأهله.

- مخطوطات الكتاب:

لم أتمكن من العثور على النّص المخطوط للكتاب لذلك فإنّني أنقل ما وُصِف به من خلال ما وقعت عليه يدي من دراسات حوله.

01- مخطوطة الشيخ أحمد لكحل:

وهي المخطوطة التي استعارها منه نور الدين عبد القادر ونشر مقتطفات منها في كتابه «**صفحات في تاريخ مدينة الجزائر**» ووصف نور الدين عبد القادر هذه المخطوطة بأنّها: «حولية عربية صغيرة، تحتوي على ثلاث وعشرين صفحة ذات حجم كبير، في كلّ صفحة واحد وعشرون سطرا، بخط مغربي جميل، لكنّها لا تحتوي على تاريخ للنسخ كما لا توجد بها خاتمة».

وقد استفاد من مخطوطة الكتاب الشيخ عبد الرحمان الجيلالي في الجزء الثالث من كتابه «**تاريخ الجزائر العام**» وذكره ضمن مصادره، وكان يحيل عليه بقوله:«جاء في بعض الروايات والتقاييد المخطوطة».

وقد وصف نور الدين عبد القادر أسلوب هذه النسخة بأنّها «في غاية البساطة والسذاجة، وتراه يستعمل كثيرا من عبارات اللّغة الدارجة» كما أنّها «كثيرة الأغلاط جدّا».

02- مخطوطة جورج دلفان:

حصل عليها هذا الباحث ضمن أوراق كانت معروضة للبيع في إحدى مكتبات مدينة الجزائر، وكانت بحوزة وَرَثَة ألبير دوفو، وتضمّ المخطوطة تسعة أوراق من الحجم الكبير مكتوبة في وجه الورقة وظهرها وفي كلّ صفحة 17 سطرا وهي محفوظة بشكل جيّد ما عدا حاشيتي السطرين العاشر والحادي عشر من الصفحة الأخيرة ونتيجة لذلك فقد سقطت ثلاث كلمات ولكن من السهل فهم السياق العام للنّص كما ذكر دلفان.

وبالنسبة للأسلوب فهو واضح وصحيح دون أخطاء، والخط مشرقي جميل، وذكر دلفان أنّ ناسخ هذه المخطوطة هو أحد الأهالي الجزائريين الذين دخلوا في خدمة الإدارة الفرنسية غداة الاحتلال، وأنّ هذا الناسخ قد قام بنسخ مذكرة بالعربية حول التنظيم الإداري للإيالة والترقية في الميليشيا وقد ترجمها دلفان للفرنسية وقال أنّه يأمل نشرها بعد نشر قسم الباشوات من كتاب ابن المفتي.

وذكر دلفان أنّ الورقة الأولى من هذه المخطوطة بها هذه العبارة وهي من نفس خط المخطوطة: «تاريخ الباشوات الذين حكموا جزائر الغرب»، ثمّ نجد في منتصف الصفحة هذه الملاحظة بقلم ألبير دوفو: «مخطوطة ابن المفتي حسين بن رجب شاوش تملّكها محمود بن الشيخ علي بن الأمين (وهذا الأخير كان مفتيا)».

مصادر الكتاب:

تعدَّدت مصادر هذا الكتاب فمنها الوثائق ومنها المصادر المكتوبة

ومنها المسموعة ومنها المشاهدة والمعاصرة.

1- الوثائق:

نظرا لمكانة أسرة المؤلف التي تقلّد بعض أفرادها مناصب هامّة في الدولة فإنّه ليس من المستبعد أن يكون المؤلف قد استفاد من عدد من الوثائق الهامّة والنادرة، ويلاحظ المطّلع على هذا الكتاب دقّة المعلومات التي يقدّمها المؤلف الذي لا يكتفي بذكر معلومات عامّة بل أنّه يقدّم في الغالب معلومات في غاية الدقة.

كما أتيح للمؤلف أن يطّلع على بعض العقود العائدة للقضاة والمفتين، فهو مثلا عند حديثه عن المفتي الحنفي محمد بن قرمان يصرّح أنّه رأى خطّه في الوثائق،كما رأى خط المفتي أحمد بن محمد بن منصور، وخط سعيد البكوش، وخط المفتي محمد بن إسماعيل المطماطي.

ومن الوثائق التي حصل عليها المؤلف رسالة نثرية وشعرية حرّرها أصدقاء المفتي محمد بن سعيد قدورة بعد عزل هذا الأخير وقال ابن المفتي بخصوصها: «وهي لا تزال بحوزتي».

2- المعاصرة والإطلاع الشخصي:

وهي مصدر هامّ في هذا الكتاب، حيث أنّ معاصرة المؤلف لبعض الأحداث ومشاركته في أحداث أخرى كان لها دور كبير في روايات الكتاب، فهو يقدم معلومات هامّة عن والده المفتي حسين بن رجب شاوش، وعن عدد من الحُكّام الأتراك، ومفتين من الحنفية والمالكية، ويصف عددا من الأمور التي عايشها ورآها، مثل معاصرته لمكتبة الجامع الكبير وقد كانت

مليئة بالكتب قبل أن تتقاسمها الأيدي، ويقدِّم المؤلف معلومات عن شيوخه لا توجد في مصادر أخرى كما يقدّم معلومات عن مدينة الجزائر ومخطّطها العمراني وغير ذلك من المعلومات الهامة والنادرة.

3- المصادر المسموعة:

استغلّ المؤلف صلته ببعض الشخصيات الهامّة والمؤثرة في مجتمع مدينة الجزائر فاستقى منها معلومات لم تُسْعِفْه المصادر السابقة في الحصول عليها، ومن هذه الشخصيات شيوخ المؤلف الذين زوّدوه ببعض الأخبار مثل قوله: «وهاهو ما سمعته من شيخنا سيدي محمد بن أحمد بن موسى النيقرو...» وقولـه: «أخبرني شيخي سيدي مصطفى العنابي أنّ سيدي سعيد ولد بقدّورة...» كما استعان المؤلف بما روته لـه جدّته لأبيه من أخبار عن القرن الحادي عشر/ السابع عشر الميلادي.

كما ذكر المؤلف أسماء الأشخاص الذين «لهم خبرة بأحوال المتقدمين وكثيرا ما تحاورنا معهم في هذا المعنى وغيره، مثل سيدي محمّد بن محمد الثغريري، كان عالما ابن عالم وسيدي محمد وهو عدل ببيت المال وبن سيدي محمد بن عمر القاضي ابن المنقلاني وسيدي محمد بن علي بن سيدي المهدي بن رمضان بن يوسف العلج وسيدي أحمد بن اليتيم وهو عدل بمحكمة الحنفية وسيدي مصطفى بن الطالب الأندلسي من أكابر البليدة وأعقلهم (وأتقنهم أمرا) وسيدي محمد بن قانيط الجزيري المنشأ الأندلسي الأصل شيخ الحضرة الصوفية وعمنا علي بن المهدي والحاج حمودة وأحمد بن المسيسني قاضي بيت المال».

4- المصادر المكتوبة:

بالإضافة إلى المصادر السابقة فإنّ المؤلف قد استعان ببعض المصادر المكتوبة صرّح ببعضها ولّمح لبعضها ومن هذه المصادر:

-«**رحلة البرشكي**»: وقد نقل عنها المؤلف أخبارا عن الزلزال الذي وقع بمدينة الجزائر سنة 766هـ/ 1355م وما وقع لأهلها من جرّائه.

-«**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**»: وهو من تأليف ابن أبي دينار الرعيني القيرواني التونسي ذكره المؤلف عند حديثه عن الحروب التي جرت بين الجزائر وتونس.

-«**جامع الهمم في أخبار الأمم**»: وهو من تأليف عبد الرحمان الثعالبي وقد ذكره عند حديثه عن أبي البركات الباروني.

-«**كنز الرواة**»: تأليف عيسى الثعالبي ولم يذكره المؤلف صراحة ولكنّه أشار إليه عندما أخبر بأنّ محمد بن بلقاسم بن إسماعيل المطماطي كان شيخا لسعيد قدورة.

- أهميّة الكتاب:

أ- في التاريخ السياسي والإداري:

يقدم ابن المفتي معلومات سياسية هامّة عن عصره، فهو المصدر الوحيد-في اعتقادنا- الذي يُقَدِّم قائمة لحكام الجزائر العثمانية بتواريخ دقيقة لتوليتهم وعزلهم، وذكر المؤلف أنّ عدد الباشوات الذين تولّوا حكم الجزائر حتىّ عهده هو أربعة وخمسون دون حساب التوليّات المكررة للباشا الواحد.

ويذكر المؤلف فتوحات الحكام العثمانيين في الجزائر وطردهم للإسبان، كفتح مستغانم سنة 946هـ/ 1539م وبسكرة سنة 947هـ/ 1540م وتلمسان سنة 952هـ/ 1545م وبجاية سنة 962هـ/ 1554م، إضافة إلى غزواتهم الخارجية كغزو صالح باشا لفاس سنة 961هـ/ 1554م وغزو حسن ابن خير الدين لها أيضا سنة 969هـ/ 1569م و970هـ/ 1562م، واستيلاء علي باشا على تونس سنة 979هـ/ 1571م وغزو رمضان باشا للمغرب واستيلاءه على فاس وتنصيبه مولاي عبد الملك سنة 983هـ/ 1575م.

ويورد المؤلف خبر تولي أحد القضاة حكم الجزائر وهو القاضي المولى علي وهو حدث نادر الوقوع في تلك الفترة إذ أنّ أغلب الحكام كانوا من العسكر المجلوبين من الأناضول أو من النصارى الداخلين في الإسلام والمعروفين باسم العلوج.

ويقدم ابن المفتي صورة عن الصراع السياسي الذي كان محتدما على السلطة ممّا جعل الإنكشارية يتدخلون دوما لعزل وتعيين من يرغبون فيه، كما حدث مع الباشا حسين الذي أُدخِل السجن سنة 1025هـ/ 1616م ووُلِّي مكانه القاضي المولى علي، ويوسف باشا الذي وُضِع في السجن لتأخره عن دفع رواتب الجنود.

ويذكر المؤلف أنّ الإنكشارية كانوا يعمدون أحيانا إلى قتل الحُكَّام كما حدث مع الباشا علي آغا الذي قطع رأسه سنة 1082هـ/ 1672م ونفس الشيء فعلوه مع حسن شاوش سنة 1094هـ/ 1682م، والداي دالي إبراهيم الذي لم يكتفوا بقتله بل عمدوا إلى تهشيم شاهد قبره قِطَعا قِطَعا.

ويحدثنا المؤلف عن استئثار الداي علي شاوش بالباشوية وعدم اعترافه

بالباشا المُرسَل من اسطنبول، وأنّ الأمر سار على هذا النحو بالنسبة لمن خَلَفَه من الحُكّام، لكن السلطة العثمانية استمرت في إرسال هؤلاء الباشوات حتىّ أنّ أحدهم وصل إلى الجزائر سنة 1141هـ/ 1729م لكنّه أرجع من البحر دون أن يتمكّن من النزول.

ويقدم المؤلف أيضا تفاصيل عن الحروب التي جرت بين الجزائر وتونس، وكتب في هذا الشأن قائلا: «ما أعلمه جيّدا أنّ أمحال الجزائر هاجمت تونس ثمان مرات وأوّل غزوة هي غزوة علي باشا».

ويتحدث المؤلف عن تنظيم القضاء في العهد العثماني فيقول أنّ الأوامر القضائية كانت من اختصاص قاضيين: **الأوّل** قاضي المالكية «وهو مستقل من زمن العرب وأصبح في زمن الترك يتولى الخطة تحت إمرتهم»، **والثاني** هو قاضي الحنفية، وتُنْظَر المسائل الهامّة يوم الخميس، وفي ذلك اليوم يجتمع العلماء وهم القاضيان والمفتيان من الأحناف والمالكية، وكان إعلان الأحكام من اختصاص كاهية دار الإمارة الذي «بحضوره أضفى على جلسات إعلان الحكم سمة احتفالية».

وبالنسبة للفتن الداخلية فابن المفتي يورد أخبارا عن فتنة الحَمَايْمِي التي وقعت بمدينة الجزائر سنة 995هـ/ 1586م والتي تتمثل في اعتداء عدد من السكان على دُور الرياس وأصحاب المناصب العالية في الدولة.

ويذكر أنّه قد وقعت فتنة أخرى بمدينة الجزائر سنة 1000هـ/ 1591م وفي سنة 1004هـ/ 1595م وقعت فتنة ببسكرة، واندلعت حوادث أخرى بمدينة الجزائر سنة 1006هـ/ 1597م.

ب-في التاريخ الثقافي:

تعتبر الناحية الثقافية أهمّ ناحية عالجها المؤلف في كتابه هذا، فهو يورد معلومات نادرة عن علماء مدينة الجزائر، ويقول أنّ أوّل من أدرك خبره من مفاتي الحنفية هو الفقيه سيدي محمد بن قرمان المتوفى سنة 1036هـ/ 1606م.

ومن خلال سنوات تعيين وعزل المفتين يتّضح لنا أنّ هؤلاء لم يكونوا يستقرون في مناصبهم مدّة طويلة وذلك ربما راجع لعدم الاستقرار السياسي والتغيير المستمر للحكام.

وكان بعض المفتين يتخلون عن مناصبهم لأسباب شخصية لا علاقة لها بالحكم كما حدث مع المفتي الحنفي محمد بن رمضان الذي تعرّض لـه والده وهَجَرَه من أجل توليه هذا المنصب «فبَرَّ والده وخلع نفسه وسلمها[1] لابن قرمان قبل موته».

وكان مفتو الحنفية الأوائل يأتون من الدولة العثمانية رفقة الباشوات وبعد نهاية مدّة خدمتهم ينتقلون إلى وظائف أخرى كما حصل مع المفتي الحنفي مسلم أفندي الذي اشتغل بالجمارك كما اشتغل ابنه محمد -الذي تولّى الإفتاء بعده- في سُبُل الخيرات وهي مؤسسة تابعة للأوقاف.

ويؤكد المؤلف أنّ مكانة العلماء كانت معتبرة لدى الحكام الأتراك ولكنّها تراجعت والسبب في ذلك هو سلوك المفتي الحنفي محمّد النيار الذي أدخل عادة تقبيل أيدي الحكام بعد أن كان العكس هو الحاصل فيما سبق.

ومن الغرائب التي يذكرها المؤلف عن طرق تعيين المفتين، أنّ المفتي كان يُعَيَّن أحيانا للاستفادة من ثروته كما حدث مع المفتي أحمد زروق بن عمّار

(1) أي وظيفة المفتي.

الذي ولاّه أهل الديوان وحَضَر المدينة من أجل إصلاح الجامع الأعظم لأنّه كان ثريا فلمّا أصلحه عزلوه وَوَلَّوا مكانه سعيد قدورة.

ويتحدث المؤلف عن مكانة هذا الأخير -أي سعيد قدورة- الذي رغم كونه من مفتي المالكية وأنّ الحكام الأتراك كانوا يُقَدِّمون مفاتي الحنفية إلاّ أنّه استطاع بفضل ذكائه وعلمه وصلاحه أن ينال حظوة لدى هؤلاء الحكام وأعيان البلد ممّا جعله يُعَيِّن ابنه محمد خليفة له في الفتوى والخطابة والتدريس.

ومن بين الأخبار التي تهمّ الجانب الثقافي ذكر المؤلف خبرا حول مكتبة الجامع الأعظم بمدينة الجزائر التي نُقِلت كُتبها إلى برج مولاي حسن خارج باب الجديد أعلى المدينة وذلك أيام تعرض مدينة الجزائر للقنبلة من طرف الفرنسيين سنة 1682م، وذكر ابن المفتي أنّ هذه المكتبة الضخمة قد تقاسمتها الأيدي فيما بعد ولم يبق فيها على عهده سوى ثلاثمائة كتاب فقط.

ج- في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي:

يقدم المؤلف بعض المعلومات الهامّة عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، فبالنسبة للتنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر فهو يذكر أنّ مراقبة الموازين والمكاييل والأسواق قد عهدت لأمين الأمناء، وكان على رأس كلّ طائفة حرفية أمين يتصرف باسم الباشا، وتمّ تنظيم كلّ ذلك باتفاق مشترك بين الأمناء وأعيان المدينة وأمين الأمناء.

ويقدم لنا المؤلف صورة عن الرخاء الاقتصادي الذي عرفته الجزائر في عهد الباشا علي آغا الذي أملى تنظيمات بحكمة بالغة فأثرى التجار «وحاز النّاس على غنى وافر في الذهب والفضة وكمًا من المتاع، وأقاموا الدُّور

وأحسنوا تزيينها، وزرعوا البساتين ورفعوا وسطها القصور الفاخرة ولم يَعُد يُرى إلاّ الحدائق والرياض الزاهرة، وزُرِعت الحقول، وامتطى النّاس البغال الغالية والخيول، ولسْتَ تَرى إلاّ الجواهر، والأحجار ذات البريق الباهر، وساد الترف العظيم كلّ مكان، وصار النّاس يبحثون عن الملابس الصوفية ذات الألوان، ولبسوا القمصان الداكنة، والعمائم من الأصناف المتباينة، ونشأت صنائع جديدة لأشياء عجيبة...».

وفي عهد حسين رايس التريكي ازدهرت الحياة الاقتصادية بالبلاد لدرجة أنّها أصبحت تقارن مع سوريا حسب قول المؤلف، وذلك بسبب رخاء الأسعار وجودة السلع وصار يُضْرَب المثل برخاء المدينة، لكن حالة الازدهار هذه لم تكن دائمة، إذ أنّها كانت مرتبطة بالاستقرار السياسي والأمني والعلاقات مع الخارج فالمؤلف مثلا يذكر أنّ قَنْبَلة الفرنسيين للمدينة سنة 1093هـ/ 1682م أدَّت إلى تهديم بعض البيوت والمساجد.

وكان الحكّام يعمدون بعد هذه الغارات إلى تغريم السكان مبالغ مالية كبيرة كما حصل في عهد الباشا حسين ميزومورتو الذي فرض على كلّ الساكنين -بما في ذلك أسرة المؤلف- دفع مبلغ اثنا عشر ريالا وأضاف المؤلف أنّ دارهم قد تضرّرت من القَنْبلة فصرفوا على إصلاحها مائة وأربعين ريالا.

ويذكر المؤلف أنّ غالبية سكان المدينة قد تضرّروا من تلك الغارات وفقدوا القسم الأعظم من أملاكهم «وترك أغلب التّجار المدينة بسبب انخفاض أسعار المواد الغذائية والكثرة الوافرة للفواكه في تلك السنين»، وبعد عودة السكان للمدينة ارتفعت الأسعار ارتفاعا مذهلا «حتّى بيع

القمح باثني عشر ريالا للصاع الجزائري» وهو مبلغ كبير في ذلك العهد.

ويحدثنا المؤلف عن الهدايا الكبيرة التي كان يحصل عليها بعض الدايات نتيجة مساعدتهم لحكّام تونس، كما أنّ الحملات العسكرية التي شنَّها بعض حكّام الجزائر على الإيالة التونسية كانت مصدرا لغنائم وافرة.

وبالإضافة إلى المعلومات الاقتصادية عن الجزائر فقد وردت في الكتاب معلومات هامّة عن تونس نتيجة للحروب التي شنّها حكام الجزائر عليها فقد قام إبراهيم خوجة الخزناجي رفقة حسين باي قسنطينة بالهجوم على تونس سنة 1147هـ/ 1735م «وحُوصِرَت القيروان وامْتَارَتْ بالقمح إلى أن وصل ثمن الصاع ستين ريالا، وبلغ بهم الحال أن بيع دم الحيوانات المذبوحة، وأكل النّاس نواة البلح وطحين النّخل، وباع المَيَاسِير ما يملكونه و مات الفقراء، ولم يكن من النّادر رؤية ناس لم يتذوقوا الطعام منذ يومين أو ثلاثة».

وبالنسبة للنّاحية الاجتماعية فبإمكان الباحث المختص استخراج معلومات هامّة من هذا الكتاب عن أوضاع مجتمع مدينة الجزائر في تلك الفترة، فالمؤلف يُقَدِّم معلومات هامّة عن فئة الأتراك التي استأثرت بأهمّ الوظائف الإدارية والعسكرية، كما يقدم معلومات هامّة عن الكراغلة أبناء الأتراك الذين استطاعوا الحصول على منصب الإفتاء الحنفي واحتكروه بعد أن كان المفتي الحنفي يأتي مع الباشا من اسطنبول.

ويتجلى لنا من خلال هذا الكتاب الدور المؤثر لِحَضَر مدينة الجزائر في الحياة العامة فقد كانوا غالبا ما يكونون وراء تعيين المفتين المالكية، ويتدخلون أحيانا في بعض الجوانب الإدارية والسياسية.

ويُقَدِّم المؤلف معلومات هامّة عن فئة العلماء، ويذكر أنّ بين هؤلاء

علماء أجلاء حازوا على تقدير واحترام الحكام والسكان وآخرون كانوا من المُرْتَشين.

ومن خلال هذا الكتاب أيضا يمكن أن نلحظ المكانة الهامّة التي تمتعت بها بعض العائلات الحضرية التي كانت تستأثر بالجاه والحظوة كعائلة قدورة والمُرْتضى التي تولى عدد من أفرادها الإفتاء المالكي وعائلة الزهار التي كانت تتولى نقابة الأشراف.

كما نلاحظ المكانة التي كان يوليها النّاس في ذلك العصر لقبور وأضرحة الأولياء فكان العالم أو حتىّ الحاكم إذا مات يدفنه أهله قرب ضريح أحد الأولياء مثل الحاج أحمد داي الذي قُتِل سنة 1109هـ/ 1697م «ودُفِن يمين الداخل لقُبَّة الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي»، وإبراهيم باي الدولاتلي 1122هـ/ 1710م الذي «دُفِن قرب سيدي الكتاني في الجزء الذي هو بجانب سيدي يعقوب»، ودُفِن البولوكباشي محمّد جدّ المؤلف «بالجبانة التي هي قرب الفخار خارج باب الواد بين ضريح الولي الصالح نبع البركة سيدي عبد الرحمن الثعالبي وضريح سيدي محمد السعدي» كما دُفِن المفتي المالكي أحمد زروق بن عمار قرب قبر الولي الصالح عبد الله الجزائري.

ويُقَدِّم المؤلف نموذجا هامّا عن ظاهرة التكافل الاجتماعي خصوصا في الأعمال الخيرية فالمفتي المالكي محمّد بن أحمد بن مبارك الذي تولى سنة 1144هـ/ 1731م قام بتجديد بناء حائط الجامع الكبير يساعده في ذلك أعيان المدينة والرياس الأكابر بالأموال وأهل الحرف والصنائع بجهودهم.

وفي الختام فإنّه يتّضح لنا من خلال عرض هذا الكتاب أنّه من المصادر الهامّة التي لا يستغني الباحث في تاريخ الجزائر عموما وتاريخ العهد العثماني

على الخصوص باعتبار مؤلفه شاهد عيان على حوادث عصره، هذا العصر الذي ما يزال الغموض يكتنف معظم جوانبه، ولا يمكن دراسته بشكل جيّد إلاّ انطلاقا من الكتابات المحليّة التي تعبّر بصدق عن واقع تلك الفترة على عكس الكتابات الأوروبية التي لم تهتمّ إلاّ بجوانب معيّنة كالأسرى وأعمال القرصنة ورصد التحصينات العسكرية للإيالة.




تقييدات ابن المفتي
في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها




تقييدات ابن المفتي

في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها

[خطبة الكتاب]

[بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّ اللهم وسلّم على أشرف الخلق والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين][1].

[دواعي تأليف الكتاب]

وبعدُ فَعِلْمُ التاريخ عبادَةٌ ومِنّةٌ جزيلة، ومَعرفةُ أخبار العلماء مَنْقَبَةٌ جليلة، وإنّ تلك الأخبار رَسْمُهَا بالجزائر مُنْدَرِس[2]، وما كتبه ذَوُو الرِّحلة في شأنها وشأن رجال العِلم فيها غير مُقْتَبَسْ[3].

ومّما حَملني على هذا التَّقييد وإن كُنتُ لستُ من فريق المؤلفين ولا من عِدَادِهم هو التسلّي عن الهموم بعد فَقْد الأنجال والأولاد، فوقع لي العزم على ما نويتُ وأطلبُ من الله الإعانة، وأن يجعلني ممّن ثابر على فعل الجميل فإنّه خير مسؤول.

[والد المؤلف]

إنّ والدي [رحمه الله] هو [الشيخ الإمام الصالح الكامل العالم

---

(1) ما بين معقوفتين زيادة من عندنا لتوافق سياق النص.
(2) أي أن ما كُتب عن المدينة قد ضاع.
(3) أي لم يأخذه أحد ولم ينقله بالكتابة ليصونه من التّلف والاندثار.

الأصولي الفقيه المتبحر] [1]حسين بن رجب شاوش، هكذا عُرِف، بن محمد، وُلد بمَزْغَنّى الجزائر وبها المنشأ والقبر، وأمّا أبوه وجدّه فقد وَلدا بقرية قَارَا حِصَارْ من إقليم مَلَمَانْ وهي أرض واسعة تقابل مدينة أَزْمِيرْ، وقد رأيتها سنة 1128هـ[1715م] وهي سنة الزلزلة العظمى الواقعة بالجزائر والتي كانت سببا في انهدام كثير من الدور والقصور.

ووالدي أوّل القُلْغَارْ[2] في الخُطَّة[3] وقد صانها وزيّنها برفع الخصال، وكانت في أيامه تَرِدُ الأسئلة من البلد ومن الأماكن البعيدة، وقد يكون عددها في بعض الأَيام في فصل الخريف نحو الثلاثين سؤالا، لأنّ ذلك زمان الخِصام على أراضي الحراثة، وخصوصا يوم الأربعاء فإنّه كانت تُلقى فيه وتُعرَضُ على المجلس الشرعي.

وتولى والدي مفتيا وسِنُّهُ ثلاثون عاما، ومكث في الفتوى اثني عشر سنة، وقد زاد والدي وظيفه تفخيما وتعظيما وذلك بسيرته المحمودة وأخلاقه الرفيعة، وكان محبوبا عند الوُلاة، وكانت له اليد الطولى، والكلمة النافذة المسموعة عندهم، وكان يبذل نفسه في قضاء مصالح من يتعلق به، ولا يلتفت إلى فائدته الشخصية، [وكان من عادته أن يقول لي: «كُنْ رأس سردين

(1) ما بين معقوفتين موجود عند دلفان وديفو ومحذوف عند نور الدين.
(2) المقصود بهم الكراغلة وهم أبناء الأتراك من النساء الجزائريات، حول هذا المصطلح أنظر: خليفة حماش، أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية، ضمن كتاب تحية وتقدير للأستاذ خليل الساحلي أوغلو، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات زغوان 1998 ص16-18.
(3) أي وظيفة القضاء.

ولا تكن ذيل طُون»][1] وقال لي أيضا: «صغَّرْ كرشك يَعْظَمْ رَأسَكْ»[2]

[جَدّ المؤلف]

وأما جدّي لوالدي فقد قَدِم للجزائر وهو مراهق يعرف البيع والشراء صحبة أخيه الأكبر منه سِنًا في السفن المرسلة لإعانة الجزائر من السلطان العثماني على العادة المعلومة[3]، ولمّا بلغ هذا الجدّ سِنّ الكهولة أُولعَ بالسفر في البحر طلبا لنيل الغنائم، ثمّ تولّى وَرْدِيَانْ بَاشي[4] على «غَلْيَاطَتَيْن»[5] للوَلِية «زهرة باي» ورثتهما عن أبيها وزوجها، ثمّ تولى «شاوش العسكر»[6] ببلد الجزائر وكان ذلك أيام تأمّر «البَاشَالاَرْ».[7]

---

(1) ما بين معقوفتين زيادة من دلفان والمقصود بهذا الكلام كن الأوّل في عمل صغير ولا تكن الأخير في عمل كبير.
(2) وهو تعبير عامي للمثل المعروف:«البطنة تُذهب الفطنة».
(3) منذ انتصاب الحكم العثماني بالجزائر لم تتوان الدولة العثمانية في إرسال المدد العسكري للجزائر باعتبارها ولاية عثمانية، حول هذا الموضوع أنظر، خليفة حماش: تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ع 2،مارس 2003،ص 27-46.
(4) ورديان باشي عبارة تركية تعني قائد الحرس.
(5) هي نوع من السفن.
(6) أي قائد الجنود.
(7) أي الباشوات، وقد ورد اللفظ كذا «الباشلار» عند ابن حمادوش في الرحلة، ص 228.




قسم الباشوات




قسم الباشوات

اعلم أنّ عدد الباشَا لاَرْ الذين حكموا جزائر الغرب هو أربعة وخمسون، ولا نُحصي كلّ واحد منهم غير مرّة واحدة.

[ولاية إسحاق باشا]

الأوّل هو: إسحاق باشا.

[ولاية عرّوج وخير الدين]

وتولّى عروج سنة 921هـ[1515م] وتولى خير الدين سنة 923هـ[1517م][1]

[ولاية حسن آغا]

وتولى حسن آغا خليفة خير الدين سنة 944هـ[1531م] وفتح مستغانم سنة 946هـ[1539م] وبسكرة سنة 947 هـ[1540م]، وفي مدّة ولايته هاجم جَفْنٌ للنّصارى الجزائر سنة 948 هـ[1541م].[2]

وتوفي هذا الأمير في شهر رمضان من سنة 952هـ [1545م].

[ولاية حسن بن خير الدين]

وتولى من بعده حسن باشا بن خير الدين في جمادى الأولى سنة

(1) حول ولاية عروج وخير الدين وما قاما به من أعمال أنظر: غزوات عروج وخير الدين لمؤلف مجهول، اعتنى بتصحيحه وتعليق حواشيه نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1934.

(2) المقصود بها حملة شارلكان ملك إسبانيا على الجزائر، أنظر حولها: مولاي بلحميسي، غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر 1541م بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية، مجلة الأصالة، ع8، ماي-جوان 1972، ص91-111.

952هـ[1545م]، وفتح تلمسان سنة 952 هـ [1545م]، ثمّ ترك الإمارة سنة 958 هـ[1551م].

[ولاية صالح باشا]

وتولى صالح باشا سنة 959 هـ[1551م]، واستولى على فاس سنة 961هـ [1553م]، ثمّ فتح أيضا بجاية سنة 962هـ[1554م]، وتوفي في رجب سنة 963 هـ[1556م].

[ولاية محمد باشا]

وتولى محمد باشا تكَا أُوغْلِي في نفس السنة[963هـ/ 1556م].

[ولاية حسن بن خير الدين للمرة الثانية]

ثمّ تولى ثانيا حسن باشا بن خير الدين سنة 964هـ[1556م]، وفي مدّة ولايته قُطِعَ رأس قائد عربي يُسمَّى عبد العزيز[1] سنة 967هـ[1559م].

[ولاية أحمد بستانجي باشي]

ثمّ تولى من بعده أحمد باشا بستانجي باشي في محرم سنة 969هـ[1561م]، وتوفي في نفس السنة.

(1) نتيجة لرفض سكان مجانة دفع الضريبة للأتراك فقد بعث حسن باشا سنة 1559 قوّة قوامها ثلاثة آلاف انكشاري من بينهم 500 فارس يدعمهم عدد من العرب للاستيلاء على المنطقة، وأنشأ الأتراك فيها قلعة لمواجهة القائد عبد العزيز المقراني حاكم قلعة بني عباس الذي كان في صراع معهم وانتهى هذا الصراع بقطع رأسه وحمله إلى مدينة الجزائر وتركه معلقا على باب عزون يوما كاملا، أنظر: فيرو: المقرانيين أسياد مجانة، روكاي قسطنطينة 1872، ص 223-226.

[ولاية حسن بن خير الدين للمرّة الثالثة]

وتولى ثالثا حسن باشا بن خير الدين سنة 969هـ[1561م]، وتجهّز أيضا إلى فاس سنة 969هـ[1561م]، ورجع إليها أيضا سنة 970هـ[1562م].

[ولاية محمد باشا بن صالح باشا]

وتولى بعده محمّد باشا بن صالح باشا في ذي الحجة سنة 974هـ[1567م]، ووقعت فتنة قسنطينة لمّا استولى عليها حيدر كاهية سنة 975هـ[1568م][1].

[ولاية علي باشا][2]

و«تأمّر علي باشا في 14 صفر سنة 976 من الهجرة[1569م] فاشتغل بجمع آلة الحرب وجَعْلِ الهُدْنة مع العرب شرقا وغربا، ثمّ تجهَّز إلى تونس ففتحها في5 ربيع الأول سنة 977هـ[1569م] وفي مدّة ولايته بدأ بنيان برج باب الواد، وكان هو واقفا عليه بنفسه ومعه أهل الصنعة والمعرفة نحو العشرة أنفس نصارى ومسلمين، وكلّ من يأتيه بخصومة يفصلها له وهو واقف حارس على خلاص البرج لما يسمعه من العدو قادما إلى الجزائر، فبينما هو حارص على خلاص البرج المذكور أتَوْه برجُل من ناحية قلعة بني راشد اسمه بَنْ عُودَة، معروف بالتجسس يُرسله العدو من وهران إلى الجزائر ليأتيه بخبر

(1) كانت مدينة قسنطينة في تلك الفترة في حالة فوضى نتيجة غياب سلطة مركزية قويّة بسبب تداعي الدولة الحفصية، ولذلك قرّر السكان إرسال وفد إلى مدينة الجزائر مشكلا من عبد الكريم الفكون الجَدّ وعبد اللطيف المسبح، أنظر: عبد الكريم الفكون: منشور الهداية، ص48، ويذكر فايسات أنّ محمد باشا قاد محلّة دخل بها إلى قسنطينة التي فتح سكانها أبوابها دون مقاومة وعين باي على الإقليم هو رمضان شولاق، وقام الباشا بإعدام الكثير من المتسببين في الفتنة كما أسرّ الكثير من النّاس وباعهم كالعبيد مما تسبب في شكوى السكان للسلطان فعُزل محمد باشا وعُيِّن مكانه علج علي، أنظر: فايسات، تاريخ قسنطينة،منشورات بوشان، باريس 2002 ص56-57.

(2) هو علج علي أشهر حكام الجزائر في الفترة العثمانية أصله من كلابري الإيطالية بصقلية ولد سنة 1500 وتوفي سنة 1572.

الترك وأهل البلد، وكان علي باشا عنده أكثر من اثني عشر جاسوسا يجولون في ناحية الغرب وكلّهم يفحصون على جاسوس العدو ولم يعرفه أحد، فاجتمعوا معه ذات يوم في مليانة وعرفوه بالتقريب لا بالتحقيق، فتكلموا معه مرارا ثمّ جعلوا المعرفة معه فأخبرهم فعرّفهم باسمه، وصاروا نازلين في مكان واحد، فخاضوا في الكلام إلى أن قال لهم جاسوس العدو: أتريدون كسب المال؟ فقالوا له: نعم، فباح لهم بسرِّه ويكَسْبِ مَالِه من العدو، فتحقّق عندهم [أنّه][1] هو جاسوس العدو فمسكوه وأتوا به إلى علي باشا، فخاطبه مرّة بعد المرّة إلى أن عرَّفه بجميع أفعاله وارتداده مرارا، فأمر البنائين بإلقائه في صندوق البُنْيان، فرَمَوْه بوثاقه فيه، وكمّلوا الصندوق بالتعمير، هذا من جملة ما وقع في مدّة ولايته الأولى، ثمّ بعد أيام ذهب إلى برّ التُّرك ورجع[2] قبطان باشا ورجع إلى الجزائر.»[3] [واستولى على تونس سنة979 هـ/ 1571م][4].

[ولاية عرب أحمد]

وتولى من بعده عرب أحمد في ذي الحجة سنة 979 [1571م].

[ولاية رمضان]

ثمّ تولى رمضان سنة 982 هـ[1574م] وتَجهَّز إلى حلق الوادي[5] سنة 982 هـ[1574م] وتَجهَّز لحرب المغرب واستولى على فاس ونصَّب عليها

---

(1) ما بين معقوفتين زيادة من عندنا لتوافق سياق النّص.
(2) أي عُيِّنَ.
(3) ما بين شولتين أورده نور الدين في مقالته السابقة من كتاب ابن المفتي وهو غير موجود عند دلفان.
(4) ما بين معقوفتين من دلفان.
(5) هو ميناء بتونس.

مولاي عبد الملك سنة 983هـ[1575م] (1).

[ولاية حسن باشا علج علي قبطان]

ثمّ تولى بعده حسن باشا علج علي قبطان في ربيع الثاني سنة 985هـ [1577م].

[ولاية جعفر باشا]

وتولى من بعده جعفر باشا وكان من العلوج في رجب سنة 988هـ[1580م]، وهو من قطع رأس محمد بن دالي في نفس السنة.

[ولاية علي باشا ثانية]

وفي شهر رجب وصل إلى الجزائر علي باشا يقود أسطولا به ستون جفنا حربيا، ورجع للولاية في ساعته على العادة المعلومة، لأنّ القانون المُثَبّت في كامل مبسوطة الأراضي العثمانية أنَّ القبطان لمّا ينزل إلى الميناء فإنّه يُوضَعُ بين يديه حُكم المدينة.

[ولاية رمضان باشا مرة أخرى]

ورجع رمضان باشا للولاية سنة 990هـ[1582م].

[ولاية حسن باشا علج علي قبطان]

(1) تولى حكم المغرب سنة 1574 السلطان محمد المتوكل على الله خلفا لأبيه الغالب بالله، ودخل في صراع مع عمّيه عبد الملك أبو مروان المعتصم بالله وأخيه أبي العباس أحمد الذين فرا إلى الجزائر واستنجدا بالعثمانيين، وقام هؤلاء بمد العون لهما ونصّبوا المعتصم بالله سلطانا على المغرب، واستمر يحكم حتىّ قتل في معركة وادي المخازن سنة 1578 أنظر، محمد علي داهش، العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، طرابلس-ليبيا،ع 1، 1996، ص92-93

وتولّى من بعده حسن باشا علج علي قبطان في ربيع الثاني سنة 990هـ[1582م].

[ولاية محمد باشا علج قوجة علي]

وتولى محمد باشا علج قوجة علي في شعبان سنة 993هـ[1585م].

[ولاية أحمد باشا]

وتولى من بعده أحمد باشا سنة 995هـ[1586م].

[ولاية خضر باشا]

وتولى خضر باشا في رمضان سنة 997 هـ[1589م].

[ولاية شعبان باشا بن يحي باشا]

وتولى شعبان باشا بن يحيى باشا في ذي القعدة سنة 999هـ[1591م].

[ولاية مصطفى باشا بن كاهية]

وتولى مصطفى باشا بن كاهية في ربيع الأول سنة 1003هـ[1594م]

[ولاية خضر باشا ثانيا]

وتولى ثانيا خضر باشا في ذي الحجة سنة 1003هـ[أغسطس-سبتمبر1595م].

وتولى من بعده:

[ولاية حسن باشا بوجقارجي باشي]

حسن باشا المعروف باسم بوجقارجي باشي سنة 1007هـ[1598م].

[ولاية سليمان باشا علج قطانية]

وسليمان باشا علج قطانية في صفر من سنة 1009هـ[1600م].

[ولاية خضر باشا ثالثة]

«وتولى خضر باشا مرّة ثالثة سنة 1013 هـ»[1605م]، [في جمادى الأولى][1] «ثمّ مات خضر باشا المذكور مخنوقا في تلك السنة على يد كوسة مصطفى باشا خْدِيمْ الباب العالي»[2]، وتولى كوسة مصطفى في ذي الحجة سنة 1013هـ[1605م].

[ولاية رضوان باشا علج رمضان باشا]

وتولى رضوان باشا علج رمضان باشا في صفر سنة 1016 هـ[1607م].

[ولاية مصطفى باشا مرة ثانية]

وتولى مصطفى باشا الكوسة مرّة ثانية في جمادى الثاني سنة1019 هـ[1610م].

[ولاية مصطفى باشا]

وتولى من بعده ابن أخيه مصطفى باشا في 16 جمادى الاولى سنة 1020هـ[1611م].

---

(1) ما بين معقوفتين من دلفان.

(2) ما بين شولتين انفرد بنشره بالعربية ديفو في مقال له بالمجلة الإفريقية سنة 1872 ص277

[ولاية حسين باشا قائمقام[1] مصطفى باشا]

وتولى حسين باشا قائمقام مصطفى باشا في جمادى الثاني سنة 1023هـ[1614م] وذهب مع محلة الغرب سنة 1025هـ[1616م] لكنّه حُبِس في 29 رمضان من نفس السنة.

[ولاية القاضي المولى علي]

ووُلِّيَ مكانه في دار الإمارة القاضي المولى علي[2].

[ولاية مصطفى باشا كاتب سليمان باشا]

ثمّ تولى مصطفى باشا كاتب سليمان باشا في 02 شوال 1025هـ[1616م].

[ولاية سليمان باشا علج قطانية ثانية]

وتولى سليمان باشا علج قطانية للمرّة الثانية في 02 رمضان 1026هـ[1617م]، وتوفي يوم الأربعاء، ودفن يوم الخميس 06 جمادى الثانية 1027هـ[1618م].

[ولاية حسين باشا]

وهبط حسين باشا من الحَبْس، ودخل في الخُطة يوم الأربعاء 24

---

(1) أي مساعد.

(2) المولى علي: قال عنه الفكون أنّه قاض قدم من القسطنطينية وكان من الموالي ومن العلماء وله عدد من الكتب، وأضاف الفكون أنّه قد نزل بقسنطينة فهرع إليه الباي وأعوانه واجتمع بعلي بن محمد آبهلول في دار الفكون، وبعد ذلك توجّه إلى الجزائر التي حكمها أياما ثمّ عزله الإنكشارية ونفوه مع أهله إلى تونس ومات بها، أنظر: الفكون، منشور الهداية، ص 225-227.

رمضان1027هـ[1618م] بعد العصر، وبدأ بناء برج الجزيرة في مدّة ولايته، وفي مُدَّة بناء البرج المذكور أمّن الولاية خسراف خوجة وحمودة طباجي سنة 1027هـ[1617م].

ثمّ تولى:

[ولاية خسراف خوجة]

خسراف خوجه في 26 شعبان 1028هـ[1619م].

[ولاية حسين باشا علج كاهية باشا]

وتولى حسين باشا حاكم سوسة (1) علج كاهية باشا في 2 شوال 1030هـ[1621م] وكان قد وصل من طرابلس، وأمّا خسراف فإنّه ركب البحر إلى تونس متبادلا معه.

وكُسِرَت محلّة القائد يوسف كسرها خالد في 15 رمضان 1032هـ[1623م].

[ولاية مراد باشا الأعمى]

وتولى مراد باشا الأعمى في 22 رمضان 1032هـ[1623م].

[ولاية إبراهيم باشا]

وتولى من بعده إبراهيم باشا في 14 جمادى الثاني 1033هـ[1624م]

[ولاية خسراف باشا ثانية]

ورجع ثانيا للولاية خسراف باشا في 22 ذي الحجة 1033هـ[1624م]،

(1) هي مدينة ساحلية بتونس.

وتمّ بناء برج الجزيرة في 29 ربيع الثاني 1034هـ، ودخل الترك جبال كوكو[1] بفضل أولاد يحي وأقاموا فيها النوبة في 22 شوال 1034هـ[1625م] وتوفى خسراف في 22 رجب 1035هـ [1626م].

وكانت وفاة فرحات باي[2] في 22 رمضان 1035هـ[1626م].

[ولاية حسين باشا الشيخ ثانية]

ورجع للولاية ثانيا حسين باشا الشيخ في الأوّل من شعبان سنة 1036هـ[1627م].

[الحرب بين الجزائر وتونس]

وفي 22 رمضان 1037هـ[1628م] هَزَم أهْلُ الجزائر أهْلَ تونس، واستولى أهلُ الجزائر على عشرين مدفعا.

[حوادث تلمسان سنة 1038هـ/ 1629م]

وفتح بن سُورى تلمسان بمحلة غادرت من الجزائر، وكان المدعي المغربي[3] قد جاء يحتل تلمسان في 8 رمضان 1038هـ[1629م]، وحمل بن سوري إلى الجزائر جِلْد المُدَّعي وجِلْـد خليفته المهندر محشوا بالتبن في 15

(1) جبال كوكو بمنطقة زواوة كانت بها إمارة مستقلة قبيل الدخول العثماني وقد قضى عليها الأتراك.

(2) لعلّ المؤلف يقصد باي قسنطينة حسن باي الذي مات بوباء الطاعون الذي اجتاح المدينة سنة 1622.

(3) نعتقد أنّ هذا «المُدَّعي المغربي» الذي ذكره المؤلف هنا هو المُسَمَّى أحمد بن عبد الله الذي ادَّعى المهدوية وأنّه «الفاطمي» وكتب في ذلك تقييدا أرسله إلى عبد الكريم الفكون، وأضاف هذا الأخير أنّ ذلك المُدَّعي قد ثار بالغرب أي تلمسان، واعتقد النّاس بعد موته أنّه «لم يمت وأنّه غُيِّبَ إلى وقته المعلوم فيَخْرُجَ» أنظر: الفكون، منشور الهداية، ص 226.

رمضان 1038هـ[1629م].[1]

[ولاية يونس باشا]

وتولى يونس باشا في 4 ذي الحجة 1039 هـ[1630م]،

[هجرة الكراغلة من مدينة الجزائر][2]

وبدأت هجرة القُلْغَار لمّا نفاهم التُّرك من الجزائر[3] في آخر يوم من رمضان سنة 1038هـ[1629م]، ولم يرحل آخرهم من المدينة إلاّ في رجب سنة 1039هـ[1630م].

---

(1) قام القائد محمد بن سوري بحملة على تلمسان نتيجة لقيام أهلها بإعلان الثورة على الأتراك، وقد حاول سلطان المغرب استغلال هذا الوضع لضم تلمسان لملكه لكن قوّة الأتراك أفشلت مخططاته، أنظر رأي الشيخ العبدلي حول هذه الحوادث في دراسة سعد الله عن مخطوط كعبة الطائفين ضمن كتاب أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج1،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988 ص 171.

(2) كان الصراع بين الأتراك والكراغلة محتدما خصوصا بعد ظهور هؤلاء الكراغلة كقوّة مؤهلة لمنافسة الأتراك، أنظر في هذا المجال دراستنا حول كراغلة الجزائر في العهد العثماني.

(3) في 2 ماي 1629 نظم الكراغلة مؤامرة ضد الأتراك ولهذا الغرض اجتمعوا في حصن الإمبراطور، وعندما علم الأتراك بهذه المؤامرة فكروا في وضع خطة لإحباط المشروع، فألبسوا عددا من أفراد بني ميزاب ملابس نسائية، وتدثر هؤلاء بملاحف وأخفوا أسلحتهم وذخيرتهم في شكل متاع، ثمّ تقدموا إلى مدخل حصن الإمبراطور وكأنّهم نساء هربن من ظلم الأتراك، ولما فتح الكراغلة لهم الباب هاجمهم هؤلاء الأفراد يساعدهم في ذلك فوج من الأتراك كان يتبعهم عن كثب، وتمكن الأتراك في يوم 29 ماي 1629 من اعتقال أكبر المتورطين في التمرّد من الكراغلة والرياس في بجاية، وتمكّنوا سريعا من السيطرة على الأوضاع، وعلى إثر هذا الحادث طرد الكراغلة من مدينة الجزائر وتفرقوا في مناطق مختلفة، فالبعض منهم استقر بواد الزيتون، والبعض الآخر استقر بضواحي زمورة، ومنهم من التحق بمنطقة القبائل الجبلية التي كان أهلها آنذاك في حالة حرب ضد الأتراك،أنظر: بيار بوايي، المشكلة الكرغلية في إيالة الجزائر، مجلة الغرب الإسلامي والبحر المتوسط، عدد خاص، 1970 ص 82-83.

[بناء قلعة قسنطينة سنة 1039هـ/ 1630م]

وبدأ بناء قلعة قسنطينة في شعبان سنة 1039هـ[1630م]، وتمّ بناءها في صفر سنة 1040هـ[سبتمبر-أكتوبر1630].

[عودة الكراغلة إلى الجزائر]

وبدأ القُلْغَار يرجعون من تونس[1] إلى زواوة في رمضان 1041هـ[1632م].

[ولاية حسين باشا الشيخ ثالثا]

وتولى حسين باشا الشيخ للمرّة الثالثة في 22 ربيع الثاني 1042هـ[1632م]، وتهدّمت القصبة في فتنة القلغار في 24 ذي الحجة 1042هـ[1633م].

ثمّ تولى من بعد ذلك:

[ولاية يوسف باشا]

يوسف باشا في 21 محرم 1044هـ [1634م].

[ولاية علي باشا]

وعلي باشا في 01 صفر 1047هـ [1637 م].

[تمرد الحنانشة والدواودة]

وفي منتصف جمادى الأولى سنة 1048هـ[1638م] اجتمع الحنانشة والدواودة[2] وكانت رئاستهم في محمد بن علي، وكُسِر جيش مراد باي

(1) كانت حينذاك تحت حكم يوسف داي الذي حكم من سنة 1610 إلى سنة 1632.

(2) كانت ثورة هؤلاء ردّا على قتل الأتراك لشيخ العرب محمد بن السَّخْري، وقام الثوار بالزحف

الأوّل.

[استيلاء البنادقة على سفن الجزائر وتونس]

وانتزع البنادقة [1] من أهل الجزائر ثمان غليوطات، وانتزعوا نفس العدد من أهل تونس في فالونا وهو ميناء بالدولة العثمانية، ووصل هذا الخبر إلى الجزائر في 27 جمادى الأولى 1048هـ[1638م].

[محلة علي باشا إلى الشرق الجزائري]

وتوجه علي باشا إلى الشرق بمحلة ليُجْهِز بغتة على خالد أُومحمّد بن علي يوم السبت 26 ذي الحجة 1048هـ[1639م].

ومات القايد مراد [2] الذي كان بعيدا عن المحلة، قتله غدرا خالد أُومحمد بن علي في صفر سنة 1049هـ[1639م].

وخُنِق حمزة خوجة في المحلة المذكور في 22 صفر 1049هـ [1639م].

على قسنطينة وأعملوا الحرق والنهب في عدد من القرى والمداشر.

(1) كانت الدولة العثمانية في حالة حرب مع البندقية وقد احتاج أسطولها إلى دعم من الإيالات المغربية، لكن سفن المساعدة تعرَّضت لعاصفة هوجاء أجبرتها على اللجوء إلى ميناء فالونا فباغتهم أسطول البندقية بهجوم وألحق بهذه القوات سواء في السفن أو العتاد أو من البحارة ولم ينجُ إلا عدد قليل من الرياس، أنظر: محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص66.

(2) جاء في ورقة مخطوطة عثر عليها فيرو بخصوص مقتل الباي مراد ما يلي: «وفي سنة 1049هـ توفي مراد باي في صفر وسبب موته على ما قيل أنّه كان نازلا بفناق قبلة قسنطينة فأتى إليه الشيخ محمد بن السخري بن أبي عكاز العلوي شيخ العرب يوم الأربعاء غرة صفر الخير من سنة 1047هـ فحبسه بالمحلة المنصورة واتفق الديوان العالي على قتله لكونه خرج عن الطاعة السلطانية وشاوروا على ذلك باشا الوقت يومئذ مولانا المعظم علي باشا والديوان وغيرهم فاتفق رأي الجميع على قتله فقتلوه وقتل معه ابنه أحمد وستة أنفس من أجواد العرب..» أنظر المجلة الإفريقية 1866، ص 180.

[ولاية يوسف باشا المسمّى سرهواش يوسف]

وتولى يوسف باشا المسمى سرهواش يوسف[1] في21 محرم 1050هـ[1640م]، وحكم أربعين يوما ثمّ انفصل عن الخطة.

[ولاية يوسف باشا للمرة الثانية]

وتولى ثانيا يوسف باشا في 11 صفر 1050هـ[1640م]، وتجهز بمحلة لإخضاع محمد بن علي شيخ الذواودة في 17 محرم 1051هـ[1051م]، ورجع من المحلّة في منتصف محرم سنة 1052هـ[1642م].

وفي يوم السبت 14 رمضان 1052هـ[1642م]. دُعي محمد باشا بوريشة ليخلف يوسف باشا الذي وُضِع في الحبس لتأخره في دفع علوفات الجند[2]، وهبط من الحصن يوم السبت 07 شوال 1053هـ [1643م].

[ولاية أحمد باشا]

وتولى من بعده أحمد باشا في 14 جمادى الأولى 1054هـ [1644م].

[ولاية يوسف باشا للمرة الثالثة]

ورجع ثالثا للولاية يوسف باشا في 23 ربيع الثاني 1057هـ [1647م]، وفي شعبان 1057هـ[1647م]، خرج بمحلة إلى الشرق ليحتلّ أراضي الذواودة وغيرهم.

ثمّ تولى:

---

(1) كان يعرف أيضا بقرطالج أو قرطالجي ويكنى بأبي جمال

(2) أي رواتبهم.

[ولاية مراد باشا علج عربجي الجزائري]

مراد باشا علج عربجي الجزائري في الأوّل من ربيع الأول 1060هـ[1650م].

[ولاية محمد باشا البوشناقي]

وتولى محمد باشا البوشناقي[1] في 22 جمادى الأولى 1061هـ [1651م].

[ولاية طوبال باشا]

وطوبال الذي رُفِّعَ باشا في 17 محرم 1064هـ[1653م].

وتنتهي بطوبال حلقة من ثمانية وأربعين تولية، مُحْصِين كلّ باشا لوحده، ولاحظ أنّني سأعيد إحصائهم لمّا أُنهي عرض كلّ ما بلغني من الأوّل إلى الآخر.[2]

ويأتي بعد ذلك:

[ولاية الحاج أحمد باشا المعروف باسم توشان باشا]

الحاج أحمد باشا المعروف باسم توشان باشا في 22 رمضان 1065هـ[1655م]

[ولاية إبراهيم باشا البوشناقي]

وإبراهيم باشا البوشناقي في 12 ربيع الثاني 1066هـ [1656م]، ثمّ عُزِل

---

(1) نسبة إلى إقليم البوشناق أي البوسنة.

(2) يبدو أنّ المؤلف قد أعاد جرد أسماء باشوات الجزائر في كتابه لكن ما هو مطبوع من الكتاب لم يضم ذلك.

إبراهيم باشا المذكور.

[ولاية الحاج أحمد باشا]

وتولّى مكانه ثانيا الحاج أحمد باشا الذي كان في الحبس، ووقع ذلك بعد عصر يوم 24 رجب من سنة 1066هـ[1656م].

[ولاية إبراهيم باشا]

ورجع للولاية ثانيا إبراهيم باشا يوم السبت بعد عصر يوم 22 ذي القعدة 1067هـ[1657م].

[بداية عهد الآغوات]

وعهد الديوان بعلوفات الجند لخليل بولكباشي[1] في ذي القعدة من سنة 1070هـ[1660م] وقُتل خليل بولوكباشي في آخر أيام محرّم من سنة 1071هـ [سبتمبر-اكتوبر 1660م].

وفي نفس اليوم الذي مات فيه خليل عُهِد بمنصبه لرمضان بولوكباشي المعروف باسم يُورْك رمضان، وفي رمضان سنة 1071هـ [1661م] بدأ بناء حصن رأس تافورة.

[ثورة الإنكشارية على يورك رمضان]

وهاج الكشايرية على يورك رمضان وقتلوه مع حُرَّاسه وسط

(1) ذكر بوايى، أنّ البولوكباشي خليل حرّض الديوان الكبير على عزل إبراهيم باشا للاستئثار بسلطته المالية وتمّ تعويض الباشا ممثل السلطان العثماني في الجزائر بهيئة مُشكلة من 24 معزول آغا ويرأسها آغا مُكلّف بالراتب هو خليل نفسه، أنظر: بيار بوايي، من الباشوات الثلاثيين إلى ثورة علي خوجة داي، المجلة التاريخية (بالفرنسية)، ع495، سنة 1970، ص 104.

البادستان[1] يوم السبت 15 محرم 1072هـ[1661م].

[ولاية إسماعيل باشا]

وتولى إسماعيل باشا في 17 رمضان من سنة 1072هـ [1662م] وأُوكِل الحاج علي في الوقت ذاته بحكم الجزائر وعلوفات الجند يوم مات يُورْك رمضان، ورُوعِيَتْ هذه العادة حتىّ يومنا هذا.

[ثورة الإنكشارية على علي آغا]

ثمّ هاج اليولداش على علي آغا وقطعوا رأسه في 14 جمادى الثاني 1082هـ[1671م] ودفن قرب برج رأس تافورة.

[ولاية حسن قبطان التريكي]

ثم رُفِعَ بعده دولاتلي: حسن قبطان التريكي، وفي بضعة أيام أشرك معه صهره حسن شاوش، ثمّ بعد ذلك بمدّة قليلة خلع اليولداش شريكه حسن شاوش وعزلوه، وتولى مكانه طاباق ليكون التريكي الداي العالي وطاباق مرؤوسه، ومضت أربعة أيام هكذا، وثبت حُسْن تسير الداي للمصلحة العامّة،ونُفِي طاباق.

[ولاية حسن شاوش ثانيا]

وتولى ثانيا صهر التريكي حسن شاوش، وهو أوّل من تسمى «بَابَا»، ثمّ قُطِع رأسه، ونُفِي التريكي إلى طرابلس سنة 1094هـ[1682م]، ومكث بها عدّة سنين حتىّ تقدم به العمر وأصابه الشلل، وعند ذلك حملوه إلى الجزائر،

(1) البادستان هي النطق العامي للكلمة التركيةبزستان التي تعني سوق الأشياء الثمينة، أنظر: ديران كلكيان،القاموس التركي-الفرنسي، مطبعة مهران،استانبول، 1911، ص264.

وأقعدوه في دار كان يملكها، فمكث بها حتىّ وفاته ودفن بجوار صهره.

[ولاية حسن رايس قبطان ميزومورطو]

ولمّا نُفِي التريكي تولى دولاتلي: حسن رايس قبطان ميزومورطو وتقلَّد هذا منصبين مجتمعين بين يديه: منصب الداي، ومنصب الباشا سنة 1096هـ[1684م] ثمّ تخلّى عن منصبه وهرب بفرقاطة[1] ركب بها البحر إلى شرشال وأبحر إلى برّ التُّرْك سنة 1101هـ[1689م]، ورُفِّع في القسطنطينية وأقلع مع جفن حربي وانتزع شِيُو[2] من النّصارى، ثمّ عُيِّن قبطان باشا، وحافظ على ذلك المنصب حتىّ وفاته، ودفن بشِيُو، وقد زُرتُ أنا قبره في تلك المدينة، رحمة الله عليه.

[ولاية الحاج شعبان خوجة]

ثمّ تولى الحاج شعبان خوجة دولاتلي في 24 ذي الحجة 1101هـ[1690م]

[ولاية الحاج مصطفى الشيخ]

وفي نفس السنة تولى باشا: الحاج مصطفى الشيخ.

[ولاية عمر باشا]

وتولى مكان الأخير: عمر باشا سنة 1102هـ[1690م].

---

(1) الفرقاطة frégate هي نوع من السفن التي كانت مستعملة في ذلك العصر.
(2) شيو Chio هي جزيرة يونانية تقع في بحر إيجا.

[ولاية الحاج مصطفى الشيخ باشا للمرة الثانية]

ثمّ تولى ثانيا: الحاج مصطفى الشيخ باشا سنة 1102هـ[1690م]، ومات سنة 1104هـ[1692م].

[ولاية موسى باشا]

وتولى من بعده موسى باشا في ذي القعدة من سنة 1106هـ [1695م]، ولمّا تولى موسى باشا المذكور هاج الكشايرية بمحلّة الشرق، واعتزموا عزل شعبان خوجة، الذي كانت قد دُبِّرَت قبله دسيسة شبيهة على ميزومورطو، ولمّا علم بها هذا الأخير تَرك حُكم الجزائر وهرب إلى بَرّ التُّرْك.

وأمّا ما وقع لشعبان خوجة فإنّه لما علم أنّ المحلة كانت على وصول، عَجَّل إمام جُنْد بَاشَا الوقت عندئذ وهو موسى باشا المذكور، وكان يرافقه المفتيين: الأوّل هو مفتي الحنفية والدي رحمه الله، و الآخر هو الشيخ سيدي محمد بن سيدي سعيد مفتي المالكية، والقاضيين وهما: سيدي محمد بن الحاج قاضي المالكية، والشيخ سيدي محمد زيتون قاضي الحنفية، لكن ذلك لم يُجْدِ نفعا لأنّهم لمّا وصلوا إلى المحلة وصلت في نفس الوقت إلى الجزائر رسالة إلى الكشايرية كتبت باسم جنود المحلة بها إقرار العلماء[1] استعملوها لعزل شعبان خوجة، وعند تلقي الرسالة دُعي أهل الديوان واجتمعوا في القصر ولمّا علموا بأمر الرسالة ورغبة الجنود في أن يُحْبَس شعبان خوجة فإنّهم قادوه إلى دار الآغا وأغلقوا عليه فيها الدار التي هي الحبس العام، ووقع ذلك بعد صلاة الجمعة.

(1) هذا دليل على ما كان يحظى به العلماء من مكانة في ذلك العصر.

[ولاية الحاج أحمد]

وفي اليوم التالي تولى دولاتلي: الحاج أحمد وكان آغا، وعُرِف بـالأجه[1] أحمد، وكان ذلك في 23 ذي الحجة 1106هـ[1695م] وحال توليته أمر بخنق شعبان خوجة رحمه الله.

ومات أحمد الأجة سنة 1109هـ[1697م]، ودُفن يمين الداخل لقُبَّة الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي.

[ولاية حسين باش شاوش قارابغلي]

وتولى من بعده دولاتلي: حسين باش شاوش قارابغلي، في 26 ذي الحجة 1109هـ[1698م].

[ولاية علي باشا]

ثمّ تولى علي باشا الذي كان دولاتلي على تونس سنة 1111هـ[1699م]، لّما انفصل عن منصبه حسين باش شاوش وخرج إلى مصر.

ثم تولى بعده:

[ولاية أهشي مصطفى]

أهشي مصطفى يوم الجمعة 06 صفر 1112هـ[1700م].

[ولاية مصطفى باشا]

ومصطفى باشا في 10 ربيع الثاني 1116هـ[1704م].

---

(1) استعنا في ضبط الاسم بما جاء في رحلة ابن حمادوش، ص226.

[ولاية حسن خوجة شريف]

وحسن خوجة شريف، وتولى هذا بفضل دسائسه، التي رغم أنّ آهشي مصطفى كان متفطنا وأنّه كان وسط جنوده، غير أنّه هرب.

ووصل أهشي مصطفى مع محلّة الشرق، وكان قُرب رأس تافورة، واعتزم الوصول إلى القليعة لكنّهم أدركوه وذبحوه ودُفِن بها.

وتأمّر حسن خوجة المذكور قبل مطلع شمس يوم 26 رجب 1117هـ [1705م].

[ولاية محمد خوجة بكتاش]

وتلقى بعده لقب دولاتلي: محمد خوجة بكتاش في 28 ذي القعدة 1118هـ [1707م] وأركب حسن خوجة في شَطِّية[1] وبعثَه إلى بجاية التي لم يَصِلها، وسيأتي تفصيل هذه الوقائع في مكانها.

[ولاية إبراهيم باشا البوشناقي]

وتولى من بعده باشا: إبراهيم باشا البوشناقي في جمادى الأولى 1119 هـ[1707م].

[ولاية أحمد باشا]

ثمّ تولى مكانه أحمد باشا في 23 ربيع الثاني 1121هـ[1709م]، وبعث بكتاش خوجة صهره السار عسكر[2] الذي فتح وهران في 24 شوال 1121هـ[1709م].

---

(1) الشَّطِّيَة هي نوع من السفن كانت تستعمل بمحاذاة الشاطىء.

(2) السار عسكر هو قائد الجيوش.

وقُتِل بكتاش خوجة في قصره بينما كان صهره السار عسكر في محلة الشرق يوم السبت 21 محرم 1122هـ[1710م].

[ولاية دالي إبراهيم باي]

وتولى دولاتلي: دالي إبراهيم باي وكان في ذلك اليوم أوّل من حمل بالضربات على بكتاش رحمه الله.

ووصل أُزُنْ حسن في ذلك الحين مع محلّة الشرق وسارع للقائه فرسان لحقوه إلى المكان المسمى ذراع الكلخ وذبحوه، وحُمِلت رأسه إلى الجزائر، ودفن بجانب حَمُوه بكتاش قرب معمل الفخار خارج باب الواد في 18 صفر 1122هـ [1710م].

وقُتِل بدوره إبراهيم باي الدولاتلي أعلى قصره بعد دفاع مستبسل، ودفن قرب سيدي الكتاني في الجزء الذي هو بجانب سيدي يعقوب، قريبا من السبعة رجال الصالحين، وبعد بضعة أيام من ذلك هشّموا شاهِدَه قِطَعًا قِطَعًا، ولم يَبْقَ له اليوم أيّ أثر، محا الله ذكراه كما أظلّ مسعاه مدّة حياته!

[ولاية علي شاوش]

ثمّ تولى من بعده دولاتلي: علي شاوش يوم الخميس 18 جمادى الثانية 1122هـ[1710م] وكان قد مرَّ على تولية علي شاوش دولاتلي سبعة أيام لمّا نُقِل أحمد باشا في شَطِّية إلى بر النصارى[1]، ثمّ وصل فَرَمَانٌ[2] من السلطان المنصور[3]

---

(1) المقصود ببَرّ النَّصارى: أوروبا.

(2) الفَرَمَان هو المرسوم الذي يبعثه السلطان العثماني.

(3) هو السلطان أحمد الثالث بن محمد الرابع الذي تولى الحكم سنة 1703 وعُزِل سنة 1730.

يُنعِم عَلَى علي شاوش بباشاوية الجزائر، ومات علي شاوش بالزُّحَار[1]، رحمة الله تعالى عليه، ودفن داخل المدينة خلف القصر.

[ولاية محمد خزناجي]

وتولى دولاتلي: محمّد خزناجي يوم الأربعاء 05 جمادى الأول 1130هـ[1718م] وتلقى أيضا فرمانا منحه لقب «باشا الجزائر»، ونتيجة لذلك وكما كان قبله علي شاوش، صار محمد خزناجي دولا تلي وباشا في نفس الوقت.

وقُتل محمد باشا بطلقة نار ضُرِبت عليه من قشلة[2]كشايرية أوسطا موسى.

[ولاية عبدي آغا]

وتولى من بعده دولاتلي: عبدي آغا، وكان آغا الصبايحية[3] العرب، وحَكَم بابلك التيطري، وكانت توليته في 20 جمادي الثاني 1136هـ[1724م]

وتلقى عبدي أيضا من السلطان أحمد لقب باشا، كما جرى ذلك في السابق، وكان في نفس الوقت داياً وباشا سنة 1137هـ[1724م] وفي مدّة ولايته وصل باشا إلى الجزائر، لكنّه أُرجِع من البحر دون أن يتمكن من النزول[4]،

(1) الزُّحار هو الإسهال.

(2) القَشْلة هي ثكنة الإنكشارية.

(3) الصبايحية هي فرقة عسكرية من الفرسان.

(4) لم يعد الباشا المرسل من الدولة العثمانية يتمتع بأي نفوذ بعد استئثار الدايات بأمور الحكم، حول هذا أنظر مثلا ما أورده الأسير البرتغالي ماسكارنهاس الذي ذكر أنّه شهد على عهده 1621-1626 حادثة مفادها أنّ أحد هؤلاء الباشوات قدّم للجزائر موفدا من السلطان العثماني لكن عددا من أفراد ديوان الجزائر استقبلوه في الميناء واشترطوا عليه الالتزام بدفع رواتب الجند مرّة كلّ شهرين قمريين وأن يلتزم بالدفع قبل الموعد بثمانية أيام وذلك لإحراجه، لكن الباشا اضطر لقبول هذا

وهذا نتيجة وفاق بين الكشايرية حرّض عليه عبدي، ويُرْوَى أنّ الباشا الذي عُومِل هكذا كان يسمّى علي درناوي، وحسب بعض النّاس فهو يسمى حسن، وذلك في 22 ذي القعدة 1141هـ[1729م].

[احتلال الإسبان لمدينة وهران]

واحتلّ الإصبنيول مدينة وهران، وهجرها المسلمون دون أن ينتظروا أن يكونوا محاصرين، إذ أنّهم ما إن رأوا الإصبنيول ينزلون غير بعيد عن المدينة حتىّ هجروها، وكان دخول الكفرة في 22 ذي القعدة.

[وفاة عبدي باشا]

وتوفي عبدي باشا يوم الجمعة 11 محرم 1145هـ[1732م].

[ولاية إبراهيم خزناجي]

وتولى دولاتلي: إبراهيم خزناجي في 12 ربيع الأول 1145هـ [1732م]، وتلقى تولية الباشا كمن سبقه في سنة 1149هـ[1736م]، وجدّدت له التولية أربع مرات قبل تحرير هذه التقاييد وسيحصل عليها بالتحقيق في المستقبل.

ومع إبراهيم خزناجي فإنّ عدد الباشوات الذين تقلدوا حكم الجزائر إذا أحصينا كلّ واحد وحده دون أن نحصي التوليّات التي جدّدت مرتين أو ثلاثة كما وقع لبعض حكّامنا الدولاتلية الذين شغلوا مرارا باشاليك الجزائر، هو أربعة وخمسون، تلقى خمسة منهم التولية حين كانوا يحكمون

المطلب خوفا من انتقام الإنكشارية، أنظر: ماسكارنهاس، رواية عبودية جواو ماسكارنهاس في الجزائر1621-1626 ترجمها عن البرتغالية إلى الفرنسية بول تيسيي، منشورات شانديني،ط 2، باريس، 1999، ص92.

المدينة وهم كما رأينا: ميزوومورطو وعلي شاوش ومحمد الخزناجي وعبدي باي، وإبراهيم باي الذي هو خزناجي عبدي، وأمّا الآخرون فقد جاؤوا كلّهم من القسطنطينية بفرمان التولية، والبعض منهم تولّى مرتين وحتىّ أكثر كما ذكرت ذلك مع توالي الوقائع.

وإسماعيل باشا وهو ثاني من تَسَمَّى بهذا اللقب(1) وصل أيضا من القسطنطينية لكن ميزومورطو نفاه إلى المغرب ومات هناك، ونفس المخاطرة وقعت لـعلي باشا درناوي وأرجعه عبدي باشا كما ذكرت، وعند كتابتي للتقاييد السابقة أصيب إبراهيم باشا بالزُّحَار وترك الولاية التي عَهد بها لصهره إبراهيم خوجة الخزناجي، وما حتَّم عليه أخذ هذا الأمر هي الفوضى المستمرة التي زعزعت قصره، وبقي إبراهيم خوجة وحده في الولاية العليا للجزائر، مُصْدِرا الأوامر والتدابير اللازمة منتظرا من السلطان محمود خان توليته الباشاوية، فحصل عليها يوم الأربعاء 24 رمضان 1158هـ[1745م]، ومات إبراهيم باشا الذي انفصل عن الولاية العليا في 22 شوّال من السنة المذكورة.

وكان بين انفصاله عن الخطة ووفاته تسعة وعشرين يوما، ودفن بجانب عبدي باشا في الجبانة الكائنة قرب القصر.

[الوظائف التي تقلّدها جدّ المؤلف]

وأمّا جدّي لوالدي فقد شغل خطّة شاوش مع طوبال محرم الذي تحدّثت عنه من قبل، ومع الحاج أحمد المسمى توشان، وبالتعاقب مع إبراهيم البوشناقي، ومدّة من الوقت مع إسماعيل باشا ومع من كُلِّفوا بالعلوفات

(1) أي لقب الباشا.

وهم خليل بولكباشي[1] ورمضان بولكباشي، وأيضا مع الحاج علي آغا الذي أُوكِل بالولاية والعلوفات في نفس الوقت.

ولمّا تمَّ منصبه كشاوش تولّى بولكباشي، وأقام في الدار التي هي أعلى حي السويقة في طريق الذاهب إلى جامع علي بتشين الذي كان يسمى فيما سبق دار كالي موسى ومرض بها بحصر البول، ومات رحمه الله، ودفن بالجبانة التي هي قرب الفخار خارج باب الواد، بين ضريح الوليّ الصالح نبع البركة سيدي عبد الرحمان الثعالبي وضريح سيدي محمد السعدي، نفعنا الله ببركاتهم آمين.

[أسباب نزع حق دفع الرواتب من الباشوات]

وسأروي الأسباب التي أدّت إلى نزع حق دفع العلوفات من الباشالار: وهي أنّهم ماداموا يتولونها فإنّهم ينتفعون باختلاس الأموال المجلوبة من القصر من جهات مختلفة، وفي ذلك العهد تعاقب هؤلاء على الحكم في ولايات متقاربة، وكان أهل الجزائر ضحيّة لشرّههم حتىّ أنّهم أحيانا كانوا يُغرِّمون العلماء وعدول المحكمة بدفع مبلغ معيّن.

وتبيَّن جنودنا -المنصورون بعون الله- هذا، واعتزموا أن ينزعوا من الباشوات حقّ دفع العلوفات وكذلك جباية الضرائب وتنظيم النفقات وهذا بشكل كامل.

وكلّف الجنود بذلك واحدا هو أوّل من عُقد له هذا الأمر وهو خليل

(1) يقول هايدو أنّ البولوكباشي يعادل رتبة نقيب لأنّه يقود في الحرب عدّة زمر من الجيش عددها غير محدّد، وقد يقدر مجموعها بـ400 رجل وأحيانا بـ300 إنكشاري يدخلون المعركة ويشكّلون ما يعرف بالمحلة، انظر: هايدو: طوبوغرافية وتاريخ عام للجزائر، المجلة الإفريقية 1870 ص507.

بولكباشي كما ذكرناه آنفا والأمر جارٍ هكذا اليوم.

وبقي الباشا حاكما لمدينة الجزائر ووطنها فقط، وأمّا خليل بولكباشي فأفاد من كلّ المزايا الأخرى للحكم وبقي تحت باحة القصر، وجلس رمضان بولكباشي وسط البادستان وكان حكمه ينفذ بالأوامر التي يعطيها وأحكام العفو والشدّة التي يتخذها.

[ولاية الحاج علي آغا]

ولمّا كُلِّف الحاج علي آغا بالعلوفات أضافوا له في الوقت ذاته حكم عموم البلد، وهو أوّل من حمل بالجزائر لقب «حاكم» لأنّه احتفظ بالحكم ولم يُشرك معه أحدًا، وكانت أوامره سَنِيّة[1] وكان يجلس حيث يُقيم الوُلاة اليوم، وطلب أن يبقى بجانبه الخوجات والكُتّاب الذي كانوا مع الباشالار وكذا الترجمان وشاوش العرب، وكلّ التنظيم الموجود اليوم يُعْزَى إليه وهو من رتّب التفصيلات[2] -رحمه الله- ونستثني من هذا البونباجية[3] الذين يحرسون قرب الخزينة والذين يتبعون نوبة[4] القصبة، فأولئك نظمهم التريكي وبابا حسن.

وبقي في البداية من يحرس القصر داخل الباب في البهو، ولمّا تولّى دالي إبراهيم باي دولاتلي قسّمهم إلى جماعتين يبقون في الخارج كما تراه اليوم.

وأملى الحاج علي تنظيمات بحكمة بالغة، وأثرى التّجار وعاش النّاس

---

(1) أيّ عالية.

(2) أيّ الفرق والوحدات العسكرية.

(3) هي فرق المدفعية.

(4) النوبة هي الحامية العسكرية.

في رخاء، وتحمَّسوا لتسليح أجفان الحرب وتهيئة العمائر[1] بِرَسْمِ الغَزْو وجَلْبِ المَغَانِم.

وحاز النّاس على غِنى وافِر في الذهب والفضة، وكمّا من المتاع، وأقاموا الدُّور وأحسنوا تزيينها، وزرعوا البساتين ورفعوا وسطها القصور الفاخرة، ولم يَعُد يُرَى إلاّ الحدائق والرياض الزَّاهِرة، وزُرِعت الحُقُول، وامتطى النّاس البِغال الغالية والخُيُول، ولسْتَ تَرَى إلاّ الجَواهِر، والأحجار ذاتِ البَرِيق الباهِر، وساد التَّرفُ العظيم كلّ مكان، وصار النّاس يبحثون عن الملابس الصوفية ذات الألوان، ولبسوا القمصان الدَّاكِنة، والعمائم من الأصناف المُتَبايِنة، ونشأت صنائع جديدة لأشياء عجيبة، مختلفة كثيرا عمّا وُجد من صنائع حتىّ ذلك الوقت.

وكان حَرَسُ الحاج علي آغا يحرسونه كلّ ليلة حتىّ داره، ويعودون إليه في الصباح الباكر، وهذه الدار معروفة وهي بحي باب عزون، وكان هذا الأمير يتلهّى مع بعض الحضر الذين اختارهم خِلاَّنا له[2]، وكان من بينهم بن طوبال وبن المهدي، لمَّا أدركه بعض البائسين بطلقة نار في سوق التَّماكين[3]، ووثب الأمير ليتبعهم، وسار بضع خطوات ثمّ فقد وعيه وسقط على الأرض، واندفع هؤلاء إليه وقطعوا رأسه وأمّا حُرَّاسه ففرّوا في فوضى كبيرة، رحمة الله تعالى عليه.

---

(1) العمائر هي السفن الحربية.

(2) هذا يدحض الروايات التي تقول أنّ الحُكَّام الأتراك كانوا منعزلين عن الجزائريين.

(3) وردت في أحد المصادر بصيغة التَّاكين وهي تعبير في الاصطلاح المغربي الشعبي يعني الأحذية المستعملة القابلة للإصلاح، أنظر: التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، بيروت، دار الآفاق الجديدة،ط1، 1983، ص227.

[ولاية حسين رايس التريكي]

ولّما تولى من بعده حسين رايس التريكي فإنّه مُنح لقب دولاتلي، ولّما آل الحكم لبابا حسن فإنّه صار مميزا باسمي الحاكم والدولاتلي، وبقي هكذا حتىّ زمن علي شاوش وأمّا أُزُنْ حسن فأضيف لألقابه لقب باشا، وغلبت عليه هذه التسمية ولازلنا نستعملها اليوم.

وكَثُرَت بالجزائر البهجة والمسَرَّات، والاجتماعات المفرحة والخيرات، وفاقت كلّ ما رأيناه حتىّ تلك الأيام، لدرجة أنّها صارت شبيهة ببلاد الشَّام[1]، ويضاف لهذا رخاء السلع وجودتها وصار يُضرب المثل برخاء البلد، لكن الكافر ترصّدها بالحسد، وأذكر هنا أبياتا للشاعر قال فيها:

لسْتُ بِمَنْــأى عَنِ الأَشْـرَارِ ولاَ ضَرِيرًا مُنحازًا لاَ يَأْخُـذُ حِـذْرَهُ
إِنِّي سَلَكْتُ طَرِيــقَ الله وَمَنْ يَجْعَلْ لِنَوَايَاهُ مَقْصَدًا فلن يَلْقَى حَتْفَهُ[2]

وبلغت الجزائر هذه المرتبة من الرخاء، وتنافس النّاس على رفع الدور بالبناء، ولّما قدم النّصارى أي الفرنسيس لمهاجمتها بأجفانهم ورمي البونبة عليها سنة 1093هـ[1682م][3] فإنّهم ألقوا عليها ثلاثمئة بونبة، وخُرِّبت وتهدَّمت بعض مساجدها وابتعد النصارى، وفي السنة التالية رجعوا وألقوا عليها سبعمائة بونبة سنة 1094هـ[نهاية ديسمبر1682م] وطالب النّصارى بأسارى أوطانهم الذين وجدوهم بالجزائر، وتمّ العزم على إرجاعهم ليجوزوا على الرحيل وجمع بابا حسن كلّ من كان بالمدينة وبلغ عددهم

---

(1) هذا يعني أنّ بلاد الشام كانت تحظى بمكانة اقتصادية هامّة في ذلك العصر.
(2) لم أجد قائل هذه الأبيات لذا عمدت إلى ترجمة حرفية لها دون مراعاة الوزن الشعري.
(3) المقصود بهذا حملة الأميرال الفرنسي دُوكَاسْنْ.

سبعمائة وخمسون وأرجعهم.

ولمّا تحرّر الأسارى فقد جرى ثانيا ضرب المدينة بالبونبة مِن النصارى، كما جرى الأمر من قبل ودخل الجنود في غيظ شديد وعابوا حُكم بابا حسن، وترصّدوه ليلا لمّا هبط للمرسى وأطلقوا النّار عليه وتوفي رحمه الله، وبعد غدٍ من ذلك ابتعد النصارى.

وفي مدّة ولاية حسين رايس ميزومورطو رجعوا وألقوا على المدينة اثنتي عشر بونبة واسترجع ميزومرطو ثمن الأسارى الذين حرّرهم بابا حسن مُغَرِّما كلّ مُلاَّك الدُّور بالمدينة، وهكذا توجَّب علينا دفع الاثنتي عشر ريالا صغيرة المفروضة علينا، وهذا ما أعلمه عن هذه الوقائع.[1]

وتضرَّرت دارنا كثيرا من البونبة الأخيرة، وصرفنا على إصلاحها مائة وأربعين ريالا وثلّة قليلة من النّاس من لم يُبْتَلوا بأيّ ضرر في هذه الغارات الثلاثة، وساء وضع المسلمين وعانوا من المحنة وفقدوا القسم الأعظم ممّا يملكونه عند انتقالهم خارج المدينة بسبب العجلة الكبيرة في هروبهم، وتَرَك أغلب التّجار المدينة بسبب خفض أسعار الميرة[2] والكثرة الوافرة للفواكه في تلك السنين، وبقيت الأزمة والبؤس وأحس النّاس بالفقر.

ولمّا تولى آهشي مصطفى دولاتلي فإنّه عمل على سلب النّاس، وكم من واحد نُفي حافي القدمين عاريا، وبلغ ثمن الميرة في ذلك الزمن مبالغ مفرطة، وبيع القمح حتىّ اثنا عشر ريالا للصاع الجزائري.

(1) فصّل ابن رقية التلمساني هذه الحملات في كتابه الزهرة النائرة.

(2) الميرة هي المؤونة.

[توتر العلاقات بين تونس والجزائر]

وفي مدّة ولاية آهشي مصطفى تقدَّم مراد باي الأعمى[1] بمحلّة بها ستمائة خباء وغزا أَهْلَ الجزائر ولم يكن لهم إلاّ ستين خباءً، وأقام حصارا قرب قسنطينة[2] مدّة ستة أشهر، وذهب آهشي مصطفى لمهاجمته ونزاله جاعلا في جيشه مذبحة كبيرة، وهرب مراد باي حتىّ تونس مع من بقي معه من فرسان، ووقع ذلك في 18 ربيع الثاني 1112هـ[1700م] وسط النّهار بالتقريب، ولم يحن الوقت بعد لصلاة العصر لمّا قُضي الأمر، وهلك من هلك، واقتيد الأحياء أسارى.

وغزا أهشي مصطفى تونس وهجم على عَدُوِّه وكان يقوده شريف باي فهزمه، وأسر شريف باي وكبَّله بالحديد.

وخرجت من تونس محلة أخرى بأوامر من حسين باي بن علي الذي تأمّر بعد أن صار شريف باي أسيرا، ودبّر حسين باي الدسائس مع شيخ العرب بوعزيز[3]، ومنح هذا الأخير عونه لأهل الجزائر لأنّه كانت له خصومات مع تونس، وصار من البداية وزيرا لأهشي مصطفى، وذهب ليجد هذا الأمير قادما ليلا فباشره بقوله: «إذا بقيت هنا حتىّ صباحَ غدٍ فإنّ جنودك سيضيعون» فهرب أهشي مصطفى قبل الصباح تاركا أخبية الجنود والأخبية الكبرى التي ظلت قائمة وكذلك كمّا من العتاد، وعاود طريقه نحو الجزائر.

(1) هو حاكم تونس حينذاك.

(2) كان يحكمها حينذاك الباي علي خوجة باي، أنظر: العنتري، فريدة مؤنسة، ص64.

(3) هو الشيخ بوعزيز بن ناصر شيخ الحنانشة، أنظر فيرو: الأحرار أسياد الحنانشة، المجلة الإفريقية 1874 ص211، 212.

وعند الوصول قرب رأس تافورة عَلِم أنّ حسين خوجة شريف قد تسمّى دولاتلي في الصباح ذاته قبل طلوع الشمس، ففر حتىّ القليعة.

وهذه هي الكيفية التي رُفِّع فيها حسن خوجة الذي سأتكلم عنه لدار الإمارة: فقد أشاع أصحابه خبرا مفاده أنّ آهشي مصطفى هرب عند وصوله إلى الحراش، وتأثّر الكشايرية وأهل الديوان وصدّقوا الخبر، وعند ذلك سمّوا حسن خوجة دولاتليا، ثمّ فسد الأمر، وعند ذلك أوفد الأمير الجديد بعض أنصاره للقاء آهشي مصطفى، ولمّا رآهم هذا الأخير رجع على أعقابه وتوجّه إلى القليعة يصحبه قُورْ عَلي شاوش من الصبايحية الأتراك، وأرسل حسن خوجة في أثره فرسانا أدركوه لمّا كان على عتبة باب ضريح الولي الصالح سيدي علي مبارك[1] -منّ الله علينا من بركاته- والحال أنّ آهشي مصطفى قد أساء التّصرف فيما مضى مع أحفاد هذا الوليّ، ولمّا لمح هؤلاء الباشا فإنّهم أدركوا في الحال ما وقع له، فأغلقوا باب الضريح وتركوه بالخارج، وخُنق في مكانه ودُفِن في ذلك الموضع.

[الحروب بين الجزائر وتونس]

وما أعلمه جيّدا أنّ أمحال الجزائر هاجمت أهل تونس ثمان مرات ففي المرّة الأولى غزا جيش علي باشا تونس وقد رَوَيْتُ ذلك.

وفي المرّة الثانية هُزِم أهل تونس وأُخِذت مدافعهم وتحدَّثتُ عن هذا فيما سبق.

وفي الثالثة قدم محمد باي بن مراد باي للجزائر وطلب المساعدة

(1) هو الشيخ سيدي علي بن مبارك الرجل العالم الصالح المتوفى سنة 1040هـ/ 1631م وضريحه معروف بمدينة القليعة، أنظر: نورالدين: صفحات، ص190.

وتحمّل بابا حسن أعباء دعواه، وجلب الوفاق بينه وبين أخيه رمضان باي سنة 1086هـ[1675م] وبهذه المناسبة تلقى أميرنا هدايا لا تُعدُّ ولا تحصى.

والرابعة هي المحلة التي قادها إبراهيم خوجة السار عسكر بأمر من حسين ميزو مورطو وحوصرت تونس سبعة عشر شهرا ولم يقدر على إخضاعها.

والخامسة والسادسة كانت حملات بن شَكُور والحاج شعبان خوجة الدولاتي، واستولى الحاج شعبان خوجة على تونس وحَكَمَها شهرا بالتقريب، ثمّ ترك فيها نوّابه ودخل الجزائر بغنيمة ثرية، وبعد مغادرته رجع إلى المدينة مظهرها المألوف.

والمحلّة السابعة هي محلّة أهشي مصطفى الذي تصدى في المرّة الأولى لمراد باي، ثمّ بعد أن احتجز علي شريف باي تهاون في اليوم الموالي واستهتر، وغُلِب بتراجعه مفزوعا تاركا أخبية جنوده والأخبية المنصوبة للتو.

وأخيرا فالحرب الثامنة هي التي وقعت بسبب ثورة علي باي بن محمد بن علي التركي ضد عمّه الذي وضع حدّا للعصيان الكبير وهو المرحوم حسين باي بن علي التركي، ودام العدوان خمس سنين وعرفت هذه الفترة بعام أوسلات [1].

ولمّا عجز علي باي المنهك عن مواصلة الحرب فإنّه التجأ إلى الجزائر التي كان يحكمها آنذاك عبدي باي الدولاتلي رحمه الله، وبعد بضعة أيام

(1) كان حسين بن علي قد اختار في البداية ابن أخيه علي باشا بن محمد وليا لعهده ولكن لمّا ولِد له ابن هو محمّد أزاح ابن أخيه وقدّم ابنه ممّا جعل علي باشا يقرر الثورة واتخذ من جبل وسلات مقرا لهذه الثورة، أنظر: الصغير بن يوسف، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي التركي، مج 1، تحقيق أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، ط 1، 1998، ص56 وما بعدها.

حُبِسَ في الدار التي يشغلها الباشا داخل أسوار القصر ذاته، واقتضى حبسه أن لا يتمكّن من الذهاب ولا الرجوع ولا يستقبل أيّ أحد، ولم يُسمَح له قط بأداء صلاة الجمعة بالجامع ولا حتىّ في الأعياد، وظلّ هكذا محبوسا خمس سنين ونَيف.

ثمّ لمّا تأمّر أميرنا الحالي الذي تُسَيرِّه عناية الله وهو إبراهيم باشا أجرى عليه العفو ووضع في حيازته مائة وثمانون خباء ليسير إلى عمّه وسبب هذا الأمر هو إيحاءات مبغضة كانت عميقة في نفس إبراهيم باشا ضد حسين باي، ولا يوجد شيء صحيح في الباطن.

وكان يقود الجنود صهر الباشا المسمى إبراهيم خوجة الخزناجي وكذلك حسين باي قسنطينة وآخر يسمّى قور حسين أخذ الطريق معهم، وغادر هؤلاء الجزائر في 22 ذي الحجة 1147هـ[1735م] ووصلوا إلى الكاف بعد اثنين وستين يوما من المسير، وأقاموا بالكاف اثنين وعشرين يوما، وفي05 ربيع الأول 1148هـ[1735م] قاموا أيضا بثلاث مراحل، وتوقّفوا غير بعيد عن تونس ونصبوا أخبيتهم على ضفة الوادي.

وأقام حسين باي بن علي إزاءهم مع خمسمائة خباء، وظلّوا هكذا بمواجهة بعضهم البعض دون أن يشتبكوا في معركة، ورضوا بالاقتراب من بعضهم وتبادل السِّباَب.

وجرى الأمر هكذا حتّى يوم 26 ربيع الثاني 1148هـ[1735م] وفي ذلك اليوم وبطلوع الشمس قليلا تجهّزوا بغتة على أهل تونس الذين لم يكونوا مُحْتَرِسِين، فقد كان بعضهم لا يزال نائما وبعضهم كان يلبس ويُشْعِل النّار، وقُضِي على عدد عظيم منهم، وتمّ تتبع الآخرين واقتيدوا أسارى للمحلة.

وأمّا حسين باي وأولاده ومن وُجِدوا بقربه وكان عدد الجميع ثلاثين نفسا فقد اجتمعوا للفِرار، وكلّ من خشي من عداوة علي باي لحق بحسين باي.

وعجَّل يونس باي بن علي بالمسير على تونس وانتشر خبر هذه الوقائع في الأربعاء الموالي أي بعد المعركة بأربعة أيام ودخل علي باي تونس وبُويِعَ بالقصبة وهكذا تأمَّر.

وبقي عدّة سنين يحارب عمّه حسين باي لأنّه بعد قدوم جنود الجزائر انشطرت المملكة شطرين فالقيروان ونواحيها وسوسة والمنستير والمهدية والقلعتين والقبائل المجاورة خضعت لحسين بن علي، والغرب كالكاف وتيفاش وتستور وغيرها وكذا العرب الساكنين في تلبك الجهة اعترفوا بسلطة علي باي وكانت الحرب سِجَالاً بينهما.

وحُوصِرَت القيروان وامْتَارَت بالقمح إلى أن وصل ثمن الصاع ستين ريالا، وبلغ بهم الحال أن بيع دم الحيوانات المذبوحة، وأكل النّاس نواة البلح وطحين النخل، وباع المَيَاسِير ما يملكونه ومات الفقراء، ولم يكن من النّادر رؤية ناس لم يتذوّقوا الطعام منذ يومين أو ثلاثة.

ودام الأمر حتّى يوم الثلاثاء 12 صفر 1153هـ[1740م] ولم يقدر بعض المسلمين على قهر هذه الشدّة فقاموا بالتفاوض سرّا مع يونس باي بن علي فهيئوا له ممرّا للدخول للمدينة وهكذا تسرَّبت الخيانة بين سكان القيروان وتَرَك حسين باي المدينة.

وفُتِحَتْ المدينة وهاجم المنتصرون أهل زواوة فأفنوهم وأُسِرَ حسين بن علي الشهيد، أسره الخائن بن ملوك، ولحق بعدها بيونس باي، ولم يتوقف

حسين بن علي للحظة عن تسليم أمره لله والوثوق به حتّى قُطِعَ رأسه.

وقبل هذه الوقائع ببعض الزمن ذهب محمد بن حسين باي الذي تكلّمت عنه للجزائر لطلب العون والحماية، لكنّه لم يتلق جواب القبول، وبقي أخوه محمّد الذي تركه في مكانه بتونس وقد كان يحكم سوسة بضعة أيام بعد موت والده، ثمّ ركب البحر وقدم إلى الجزائر والتقى هناك بأخيه وانتظر الاثنان أياما أفضل، وأمّا أخوهما الذي كان بينهما وهو علي باي فإنّه كان استقر منذ زمن بالجزائر بنواحي قسنطينة، يحيط به شيوخ العرب وأصحاب الكلمة المسموعة والحكماء الذين كانوا بعدد أنصار والده المرحوم حسين باي من أهل الحلّ والعقد.

وما سبق ويتعلق بالوقائع التي كانت تونس ميدانا لها والانتصارات التي حازها أهل الجزائر بها لا يمكن نكرانه، وقد جمعْتُ فيما مضى على لسان سيدي محمد بن علي بن سيدي المهدي قوله: «إنّني قرأت في كتب التّاريخ إنّه عندما تقع الحرب بين أهل الشرق[1] وأهل الغرب[2] فإنّ أهل الغرب هم الذين دوما ينتصرون، وهذا راجع للخبرة، وانظر ما وقع لمّا حاربت تلمسان جيرانها» هكذا بيّن هذا الولي.

ووقع فيما مضى ما لم أرْوِه، وهو هجوم على حلق الوادي زمن رمضان باشا الذي استولى عليها.

وقبل الباشَاالآنْ لم يصل لعِلمي شيء عن هذا الأمر، غير أنّه وقعت معركة زمن الحفصيين لمّا استولى الكفّار على تونس وحكموا بعد اتفاق مع

---

(1) يقصد بهم التونسيين.

(2) يقصد بهم الجزائريين.

المسلمين وأُرْسِلَتْ أجفان من السلطان المنصور[1] في نفس الوقت الذي وصلت فيه محلة من الجزائر ووقع ذلك زمن خير الدين.

ونُوفي بهذا عشرة أمحال والمحلة الأخيرة ذكرها الرعيني القيرواني في تأريخه لتونس.[2]

[مدينة الجزائر]

إنّ الجزائر حصن الإسلام تسمى مَزْغَنى[3]، وكانت سنة 400هـ [1009م] مدينة محاطة بالأسوار لم تُفْتَح بعد[4]، ولم يُخْضِعها أبدا لا الكفار بضَلال دينهم ولا المسلمين رغم قوّة سلاحهم.

ولم تكن المدينة في البدء إلاّ جماعة صغيرة من السكان، وكانت تمتدّ من باب الواد وحتّى المكان الذي ترتفع فيه اليوم الدار التي يقيم بها الباشا.

ولم يكن موضع القصر الحالي مع كتشاوة[5] إلاّ الحي نفسه، أمّا السوق الكبير وحتّى باب عزون فكانت أرضا كبيرة للفلاحة.

وحارة الجنان وهي اليوم سيدي هلال مع القسم الخارجي والموضع الذي يشغله حمام الملاح لم تكن تضم إلاّ جْنَاين السبخة.

وفي الموضع الذي يرتفع فيه اليوم الجامع الكبير وسيدي علي الفاسي كانت تمتدّ مخازن الفخار وكان التل المقابل مغطّى بالعُليقْ.

---

(1) يقصد به السلطان العثماني سليم الأول.

(2) هو المؤرخ المعروف بابن أبي دينار وكتابه المذكور هو المؤنس في أخبار إفريقية وتونس وهو مطبوع.

(3) نسبة إلى قبيلة بني مزغنى البربرية.

(4) أنظر حول ذلك وصف البكري في كتابه المسالك والمالك وقد نشره البارون دوسلان بالجزائر.

(5) كتشاوة هو أحد المساجد الشهيرة بمدينة الجزائر أخذ اسمه من ربوة رحبة الماعز «كجاوة» استولى عليه الفرنسيون في بداية الاحتلال وحوّلوه إلى كاتدرائية كاثوليكية.

وأمّا اسم الجزائر الذي غلب اليوم فقد مُنح لها بسبب الصخور التي تنتصب في البحر بمواجهة الميناء ذاته، وفي ذلك الزمن كان حُكّامها من العرب.

[بعض الكوارث والآفات التي حَلّت بمدينة الجزائر]

وخُرّبت الجزائر مرّة بالنّمل ومرّة أخرى بالطاعون، وهذا أقلّ ما رُوِي، وذكر البرشكي[1] في رحلته إنّها دُمِّرت بالزلزلة سنة 766هـ [1364م] وأحسّ النّاس بذلك ليلة العاشر من ربيع الثاني [يناير1365م] بعد صلاة المغرب، وتهدَّم القسم الأكبر من المدينة، وهلك عدد كبير من السكان، ليستقر بعد ذلك البربر ويستولوا على كلّ البنايات وتوسَّعت سيطرتهم وانتهى الأمر بأن أخضعوا كلّ السكان لسيادتهم، تأكّدت قدرة من يفعل ما يشاء!

وروى البرشكي ما يلي: «وجدتُ نفسي ليلة الزلزلة في الدار الكائنة بحارة الجنان بجانب باب الواد وكنت شاهدا على أشياء مفزعة لم يروها قبلي أحد، وقد سمعتُ من امرأة أنّ أحد السكان سألها عن الصعاب التي تعرَّضت لها فأجابته قائلة: كنتُ صُحْبة أختي أحمل ابنتي بين ذراعي، فجَرَيتُ في الدار من موضع لموضع حتّى انهار عليّ قسم من الدار، ودُفِنَتْ أختي تحت الردم، ونجوت أنا، ثمّ سقط قسم آخر دون أن يصيبني فرَمَيْتُ ابنتي في الأرض لأكون أكثر خِفّةً وهربت من دونها باحثة عن النجاة في الفِرَار، وهكذا فإنّني لمّا كُنتُ على وشك الموت تركتُ ابنتي وَسَطَ الرَّدْم» اهـ.

وأذكر في هذا الشأن قصة تلك المرأة التي هربت مع ابنها في الفيضان، وكان الماء يرتفع دائما، فقامت المرأة بوضع ابنها تحت قدميها لترتفع للأعلى

(1) البرشكي لعلّه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن علي المعروف بابن البرشكي المتوفى سنة 839هـ أنظر: السخاوي: الضوء اللامع، مج2، ج3، ص118-119.

قليلا، لكنّ المياه غمرت كليهما، بينما المرأة التي ذكرتها من قبل قد فرَّت وهلك رفاقها.

ورُوِيَ لي أنّ رجلا جديرا بالثقة أكّد أنّه أحصى تلك اللّيلة وحدها أربعمائة وستة وسبعين رجّة، وخلال بضع سنين تعاقبت تلك الزلزلات لكن دون أضرار أخرى.

ووقعت زلزلة أيضا بالجزائر سنة 994هـ[1585م]، وفي سنة 1042هـ[1632م] كانت الزلزلة شديدة جدّا فأسقطت ديار المديّة، والسنة التي من قبل هُدِّمَتْ دلس بنفس الكيفية.

وأضاف كاتب هذه السطور قائلا: لقد عانينا في الجزائر حيث نقيم من زلزلات أخرى سببت خَرْقًا في السور القديم دون أن تُسبِّبَ أضرارا بالغة ولا مَوْت السُّكان.

وفي يوم الإثنين 9 صفر 1128هـ[1716م] وقت الضحى هزّت الجزائر زلزلة مرعبة وتهدّمت أغلب الدور، وتصدّع الجامع الكبير، وكانت الأضرار أكبر في قصور النواحي، واستشعر النّاس في كلّ مكان هذه الآثار الرهيبة، وكان الغبار الذي ارتفع في الأرض قد اجتاح تقريبا المدينة، ولا يمكن أن يُزرع قسم من الأراضي التي بُنِيَت عليها هذه الدور إلاّ بعد مدّة من الزمن ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.[1]

وترك السكان المدينة ونصّبوا الأخبية، بعضهم في الجبانة وبعضهم في الريف حيث لا يوجد أي بناء، ووافقت هذه الواقعة شهر يناير العجمي.

ولا تَبحَثْ عن معرفة ما تكبَّدَهُ هؤلاء البؤساء من المعاناة بسبب

(1) البقرة: من الآية 156

العواصف المستمرة والبرد الشديد، ولم ينقطع ارتجاج الأرض كامل ذلك اليوم أبدا والليلة التي تلته، وتجدد الارتجاج أربعة وعشرين مرّة بالتّتالي.

وبما أنّ البرد قد آلم السكان بمرارة أيما مَرارة، وأوشكوا أن تغمُرَهم الأمطار، فقد اعتزموا الرجوع للمدينة مُلتَمِسين عون الواحد الجبار.

وبعد هذه الوقائع كان السكان وسط ليلة ثالث يوم من ربيع الأوّل من العام المذكور، ووقعت رجّةٌ مرعبة القُلوبَ المفزوعة، ومُلقية الذّعر بين السُّكان، تبعتها رجَّتان أُخْريتان، وقبل أن تبِين الخيوط الأولى لليوم لتُشَتِّتَ الظلام كان السكان قد أعدّوا عُدَّتَهُمْ للفِرار مرّة أخرى.

وتتابع ارتجاج الأرض خلال عشرين يوما دون انقطاع، خصوصا في اللّيل، سبحان العليّ القدير الذي لا تواجه قدرته العوائق!

وفي سنة 1148هـ[1735م] وقعت أربعة رجّات لكن دون أن تسبب أضرارا، وفي المقابل فإنّ شرشال التي هي موضع على مسيرة يومين من الجزائر وقَعَت أغلب دُورِها، وجرى ذلك ليلة السبت 17رجبٍ الذي يوافق شهر نوفمبر العجمي، وهلك الكثير من سكان شرشال وأُحْصِيَت مائة وخمسون نفسا، فأفاد البربر من ذلك واستولوا على المدينة.

وسأتكلم فيما بعد عن زلزلة أخرى، لكنّي سأذكر ذلك فقط عندما أتحدث عن الزلزلات الأخرى حسب ترتيب السنين إن شاء الله.»[1]

---

(1) وهنا مرة أخرى يذكر ابن المفتي أنّه سيورد قائمة بالزلازل التي تعرّضت لها مدينة الجزائر حسب ترتيب السنين، لكن ذلك لم يرد في نسخة دلفان المترجمة.

[حكم العرب الثعالبة للجزائر]

وكانت مدينة الجزائر تحت إمرة العرب[1] وكانت رئاستهم في واحد منهم، وكانت مقر ملكه الدار التي هي اليوم نوبة البومباجية قرب باب الواد،لكنّه كان يسكن «الدار الحَمْرّة» قُرب الولي الصالح سيدي علي الفاسي، وتُشَكِّل مداخيل هذه الدار اليوم حُبوس شراء الشمع الذي يوقد بالجامع الكبير ليلة السابع والعشرين من رمضان من كلّ سنة[2].

[ميناء الجزائر]

كان ميناء الجزائر ملاذا لكلّ القادمين، مسلمين كانوا أو كافرين،حتّى زمن احتلال النصاري للحصن الكبير، وكان الميناء في ذلك الزمن قليل الأهمية عمّا هو عليه اليوم، وبقي الحال هكذا حتّى اليوم الذي وصلت فيه من برّ التُّرك فرقاطة يركبها المجاهدون، وفهم هؤلاء ما عاناه السكان من تعدّيات الكفرة[3] الذين احتلّوا الحصن وأكَبُّوا على مناورات حربية ضد المدينة، وجَبَوْا منها المغانم، وكلّ ذلك كان نتيجة تهاون العرب وقلّة نفاذ بصيرتهم.

وحاصر المجاهدُون الكَفَرةَ أسبوعا بالتقريب، وقام الكفرةُ برد الهجمة بطلقات مدفع هدَّمَتْ قسما من المدينة، لكنّهم مع ذلك ابتُلوا بِعَوَزِ الميرة والماء.

---

(1) أي العرب الثعالبة الذين حكموا المدينة قبل مجيء الأتراك، أنظر عنهم: ابن خلدون، العبر: ج 6، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992، ص ص 73-76.

(2) حول عادة الاحتفال بليلة القدر في الجزائر أنظر: ابن حمادوش، الرحلة،ص 125-126.

(3) المقصود بهم هنا الإسبان.

[إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية]

وأُعلِم السلطان المنصور بايزيد خان بن السلطان محمد خان(1) بهذه الوقائع سنة 925هـ[1519م] فبعث للجزائر إسحاق باشا مع بعض الجنود، ثمّ لحق آخرون وآخرون إلى أن صارت نُوبَة(2) الجزائر بأهمية بالغة، وثَبَّت إسحاق باشا مقر ملكه في انحدار الجبل في المعقل الكائن داخل القصبة القديمة، ولا تزال هذه القصبة اليوم تضمُّه(3) في بَهْوِهَا.

[حي القصبة القديمة]

إنّ جامع سيدي رمضان الذي دُفن به هذا الولي، والحمّام الذي يحمل نفس الاسم ومطحنة القمح والفُرْنَيْن العاديين ومحلاّت تجّار الخضر وورشات الحياكة كلّ هذه كانت تشكّل حيّ القصبة القديمة.

واحتفظ القائد العربي(4) بملكه مدّة من الزمن ثمّ قُتل، وانتقل حكم المدينة إلى أيدي الباشَلاَر، وكانت قيادة الجنود مَنُوطَة لآغتهم.

وعندها نصّب الباشا داره وسط المدينة،وسُنَّت تنظيمات لا يزال العمل بها اليوم خصوصا ما يتعلق بالملابس التي كان لزاما أن تختلف حسب صنف ورتبة من يلبسها، وحسب درجات التَّراتب مع ميزات والتزامات كلّ واحد، ويصل الجميع لمجلس مُكَوّن من عدد من الأنفس تسمّوا ليكونوا فيه.(5)

---

(1) السلطان العثماني المعاصر لهذه الأحداث هو سليم الأوّل الذي حكم من سنة 918هـ/ 1512م إلى سنة 926هـ/ 1520م أمّا بايزيد الذي ذكره المؤلف خطأ فقد حكم قبله من سنة 886هـ/ 1471م إلى سنة 918هـ/ 1512م.

(2) النوبة هي الحامية العسكرية العثمانية.

(3) أي مقر الحكم.

(4) المقصود به هنا سالم التومي الذي قتله عروج.

(5) هو ديوان الإنكشارية.

وبنيت دار الإمارة ومحل الكَاهِيَات، كما بُنيت القصبة الجديدة، واجتمع الديوان سنة 1006هـ[1597م].

وكان الباشا على الخصوص مكلّفا بحكم مدينة الجزائر والأراضي التي تتبعها.

[التنظيم الاقتصادي للمدينة]

وعُهدَت مراقبة الموازين والمكاييل والأسواق لأمين الأمناء، ويترأس كلّ طائفة أمين يتصرَّف باسم الباشا، وتمّ تنظيم كلّ هذا باتفاق مشترك بين الأمناء وأعيان المدينة وأمين الأمناء.

[التنظيم العسكري]

وكلّ ما يتعلق بالجنود كان من اختصاص الباشا، وأمّا التنظيم الخاص بالكشايرية فإنّ هؤلاء قد حافظوا على عدد من التنظيمات الخاصة، يحرص كلّ منهم على التقيّد بها، ولمّا يكون هناك داعٍ لعقاب واحد من الكشايرية لخطأ ارتكبه فإنّه يتم الرجوع للكاهية أو يُنتَظرُ اليومُ الذي يجتمع فيه الديوان بالقصبة.

[القضاء]

ويأخذ الأوامر القضائية قاضيان: الأوّل قاضي المالكية وهو مستقل من زمن العرب، وأصبح زمن التُّرك يتولى الخطّة تحت إمرتهم حتّى زمن سيدي علي الشاطبي كما سترى.

والثاني قاضي الحنفية الذي لم يتوَلَّ إلاّ بعد أن استقر التُّرك بالجزائر، وعلى العموم فإنّ المسائل الهامّة تُنْظر يوم الخميس، وفي ذلك اليوم يجتمع العلماء وهم: القاضيان والمفتيان الحنفية والمالكية، وفي البدء كان يساعدهم

عدد من ذوي المَحْتَد[1] أمثال سيدي رمضان وبعده ابنه سيدي المهدي وبعده ابنه سيدي محمد شريف.

وزهد سيدي محمد شريف في الذهاب لأنّه وجد نفسه يوما صُحْبة علماء آخرين وبحضور ميزومورطو يشهد ضَرْبَ رجُلٍ بالعصا لجُرْم ارتكبه فأصابه التأثر وحلف أن لا يشارك أبدا في مشهد مماثلٍ وبرّ بقسَمه وتبعه عند انصرافه علماء المالكية، ولم يعد المجلس يضمّ غير القضاة والمفاتي، وعوّض «باش ياياباشي»[2] «كاهية دار الإمارة»[3] هذا الأخير الذي أُحيل لدار الإمارة للمشاركة في إعلان الحكم، وبحضوره هكذا أَضْفَى على جلسات إعلان الحكم سمة احتفالية، وكان من مهام كاهية دار الإمارة أيضا أنّه ينبّه الكاهية لمّا يُظهِر المدّعي نية سيئة، ويخبره بما وقع تحت أنظاره ويتلقى العاصي العقوبة التي يقتضيها خطأه.

لكن في الزمن الذي تكلّمت عنه، أي ذلك الذي انتُزِعَت من الباشَلاَر ميزاتهم، وفي زمن بابا حسن الدولاتلي خُصِّصَ العقّار المُسَمّى دار سلكاجي أُوغْلي لإقامة من يتقلّد خطة آغا الكشايرية وأُقيم فيه في نفس الوقت المحلّ المُخصّص لهؤلاء تحت الأقواس كما تراه اليوم.

ولم تعد القصبة إذن مقاما للآغا ولا حبسا للكشايرية كما كان ذلك حتىّ ذلك اليوم، وانتقل الديوان إلى دار الإمارة، وصار يُعقَد بحَضرة الدولاتلي، ولم

(1) المقصود بهم الأعيان والأشراف من أهل البلد.

(2) باش ياياباشي كلمة مكونة من مقطعين: باش أي رئيس وياياباشي وهو ضابط مُكلف بمرافقة الداي إلى المسجد أيام الجمعة والمناسبات الأخرى هي رتبة عسكرية في الجيش الإنكشاري، أنظر: علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة،ط1، الجزائر، 2007،ص132.

(3) الكاهية هو نائب الآغا ومساعده وخليفته في حالة المرض أو الموت، أنظر: علي خلاصي، الجيش الجزائري، ص132.

يَعُد الحكم إلاّ بيدٍ واحدٍ، عكس ما كان سابقا، وكان ذلك تنظيما جديدا بالكامل، ووجد فيه الكشايرية الهدوء الذي لم يعرفوه حتىّ ذلك الحين، لأنّهم ظلّوا حتّى ذلك الوقت هدفا للظَّلَمة والمعتدين، وفريسة للسفهاء، وضحايا لدسائس المجرمين وتحريضات المخادعين، الذين زعزعوا الحياة تارة بجمع المال، وتارة برِقّة الحال، وكلّ هذا [بياض بالأصل] كان قاسيا عليهم، لكنّهم كانوا فضلا عن ذلك في حالة يرثى لها أيضا، لمّا كان العصيان على وشك الانفجار.

[الفتن بمدينة الجزائر]

وأوّل فتنة كانت فتنة الحمايمي[1] التي وقعت بالجزائر سنة 995هـ [1586م] بتأييد من عدد كبير من العصاة الذين اعتدوا على دُورِ الرِّياس الذين كانوا يبغِضُونهم، وعلى دُورِ أولئك الذين كانت لهم رتبة عالية في الإمارة وحُكم المدينة سواء كانوا من الديوان أم لا.

وخلال هذه الفتن شكّلوا فريقين، وبلغ الأمر حدّ الاقتتال والتنازع حتّى يُهلِك أحد الفريقين الآخر، وتتبّع المنتصرون خصومهم حتّى تراجعاتهم المُسْتَتِرة.

وحصَلتُ من جدتي لوالدي المسماة عزيزة على الرواية التالية: «فاجؤونا في دارنا الكائنة بحي الصبّاغ قرب سيدي علي الفاسي، وكشفوا أحد أعدائهم، وكان مختفيا تحت مرتبة الصوف دون أن نتمكّن من أن نلمحه، فأخرجوه وأرادوا ذبحه في مكانه، فرجوناهم أن لا يفعلوا شيئا، لأنّنا خشينا أن تنقلب علينا الأمور إلى الأسوء فجَرُّوه في الحيّ وذبحوه».

وكانت هذه الفتنة الأخيرة التي وقعت زمن البولكباشيين[2] فتنة

(1) هو الشخص المسؤول عن الحمّام.

(2) جمع بولوكباشي والمقصود هنا فترة حكم الباشوات.

جسيمة، وشهدَت جدّة الوالد فتنة أخرى من نفس النوع.

ووقعت فتن أخرى سنة 1000هـ[1591م][1]، ثمّ في بسكرة سنة 1004هـ[1595م] وآخرها تلك التي تُعرف بالقلاعجي التي وقعت في دار الإمارة سنة 1006هـ[2][1597م].

وبعد تلك الفتنة الأخيرة وقعت أمور روتها لي جدّة والدي لكن الكشايرية اليوم في هدوء تامّ ويعيشون حياة هنيَّة لم يعرفوها من قبل، ولا أستثني إلاّ الخصومة التي وقعت بين التُّرك والقُلْغَار فقد بلغ الأمر حد الاقتتال كما ذكرت سابقا في 19 رمضان، بينما وقع النَّفي في التّاسع والعشرين من نفس الشهر من سنة 1038هـ[1629م] أي آخر أيام رمضان.

[تمّ قسم الباشوات ويليه قسم العلماء]

---

(1) وقع في تلك السنة [1000هـ/ 1591م] حريق مصنع البارود المعروف بدار الحاج، أنظر: عبد الله بن محمد الشويهد قانون أسواق مدينة الجزائر، تح: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2006، ص142.

(2) لعلّ المقصود بها تمرد خضر باشا الذي اتهمته الميليشيا باختلاس أموال الخزينة، وفي شهر ديسمبر 1595 عاد خضر باشا إلى الجزائر بعد أن قام بتبرئة نفسه من التهمة المنسوبة إليه، وبمجرد تنصيبه من جديد قام خضر باشا بحجز خمسة عشر ألف قطعة ذهبية من أموال سلفه مصطفى باشا خصصها لإعادة بناء موقع الميناء الذي خربته العاصفة عام 1593، وقد فكر خضر باشا هذه المرّة بوضع خطة للتخلص من نفوذ الميليشيا التركية التي لم يغفر لها ما دسته عليه من تهم لدى الباب العالي، وكان عدد أفراد الميليشيا قد زاد، وزادت معه عجرفتها سواء مع السكان أو حتى مع الباشا نفسه، فرأى خضر باشا أن أحسن طريقة للتخلص منها هي تسليح سكان مدينة الجزائر وفتح باب الثورة أمامهم ضد الميليشيا، وحاول في نفس الوقت أن يحصل على ود وتأييد طائفة الرياس التي كانت علاقتها جيدة مع السكان ولم يتردد سكان المدينة وخصوصا الكراغلة عندما سلحهم خضر باشا في إعلان الحرب على الميليشيا، وحدثت مجازر رهيبة في شوارع المدينة، وسرعان ما سمع سكان خارج المدينة بتحرك الكراغلة فسارعوا للالتحاق بهم، وفي ظل الرغبة المشتركة في الانتقام من الميليشيا تحقق نوع من التحالف بين سكان المناطق الداخلية والكراغلة الذين يقيمون بمدينة الجزائر.




قسم العلماء




[قسم العلماء]

[قدوم الأتراك للجزائر وظهور علماء أحناف]

اعلم أنّه كانت هذه الجزائر في أيام العرب علماؤها مالكية، ولمّا دخل التُّرك بدأ ظهور «الصَّفطالار»[1] من العجم، مصاحبين للباشَالار، وبدأ ظهور علم الحنفية على لسان أولئك المذكورين، و توصَّل البعض من أولاد التُّرك إلى الإمامة، و الخطابة، وخطة الفتوى.

[مفتو مدينة الجزائر من الحنفية]

ومن بين المفاتي الذين أدركنا خبرهم ورأينا خطوطهم من القلغار:

[تولية محمد بن قرمان]

أولا العالم (الفقيه مفتي الإسلام) سيدي محمد بن قرمان المتوفى سنة 1036هـ[1606م] وقد عاصر في خطّة الفتوى ابن عمار بن داود[2] سنة 1017هـ[1608م].

[تولية محمود بن قرمان]

وتولّى بعده أخوه محمود بن قرمان خطة الفتوى مرارا، وكان يتداولها مع ((العالم الفقيه مفتي الإسلام)) سيدي محمد بن رمضان بن يوسف العلج

(1) الصفطالار: هي جمع مفرده صوفتة وهي تعني الطالب الذي يدرس في الجامع الفقه والنحو والمنطق، أنظر: ديران كيليكيان، القاموس التركي-الفرنسي، 773.

(2) هو أبو العباس أحمد الزورق بن عمار بن داود من علماء القرن 11هـ/ 17م، وقد كان خطيبا بالجامع الأعظم بالجزائر وتولى الفتوى على المذهب الحنفي في الفترة ما بين 1608م-1028هـ وقد زار الشيخ التواتي بقسنطينة والتقى ببعض علمائها أمثال الفكون، أنظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج 2، ص 236، هامش13.

تارة هذا، وتارة هذا ((ثمّ اعتزل بالمرّة سيدي محمد بن رمضان، و ترك هذه الخطة لأبناء قرمان)).

وتوفي ابن قرمان الأخير ((مفتيا بالجزائر يوم السبت الرابع من ذي الحجة)) سنة1066هـ[1655م] ((وقت الظهر)).

وعاش بعده سيدي محمد بن رمضان منفصلا عن الفتوى بأعوامٍ لأنّه تعرّض له أبوه وهجره لأجل الولاية، فبَرَّ بوالده وخلع نفسه، وسلّمها[1] لابن قرمان قبل موته.

[تولية حسين أفندي]

ثمّ تولى بعد ابن قرمان الأخير حسين أفندي وكان خطيبا بجامع السيدة.

[تولية مسلم أفندي بن علي]

و((لمّا توفي -رحمه الله-)) تولى من بعده مسلم أفندي بن علي، قدم إلى الجزائر قاضي الطريق[2] ورافقه ابنه ((سيدي)) محمّد، ولمّا تمّ منصبه استوطن بالجزائر وتزوّج ودخل في طريقة الخوجلارسنجاق طار[3] هو وابنه، فالأب خدم القُمْرُقْ[4] والابن خدم سبيل الخيرات[5] وتولى خطيبا بجامع سفير سند الجبل.

---

(1) أي وظيفة المفتي الحنفي.

(2) في المدّة الأولى من الحكم التركي كان القاضي يعين من اسطنبول لمدة سنتين ثمّ يُع[illegible]

(3) كلمة مكوّنة من مقطعين: حوجلار جمع خوجة أي كاتب، وسنجاقدار وتعني حامل الراية أو العلم،ومعنى الكلمة الموظف الحكومي.

(4) أي الجمارك.

(5) المقصود مؤسسة سُبُل الخيرات التابعة للأوقاف.

وأوّل من خطب بالجامع الجديد بباب البحر بعد تمام بنائه قَرَبَاشْ أفندي، وكان هذا قرباش أفندي عالما جاء من برّ الترك يجمع عليه الجموع وهو أمر يكرهه الوُلاة فنفَوْه.

ونزل إلى الجامع الجديد مسلم أفندي من جامع سفير، فلمّا توفي حسين أفندي وتولى مسلم مكانه في الفتوى بقي خطيبا به، ومن ثمّ بقيت هذه العادة، كلّ من يتولى خطة الفتوى يكون هناك خطيبا.

(وجامع السيدة تولى فيه حسين البابوجي كان خليفة قرباش بالجامع الجديد، وأيام مرض حسين أفندي ينوب عنه حسين البابوجي في الخطبة فسمعه الدولاتلي بابا حسن فاستحسنه، وكان رحمه الله فيه ما يسمع، هذا هو السبب في ارتقائه من الخلافة إلى الخطابة، ومدّة حسين أفندي في خطبة الفتوى نحو أربعة وعشرين سنة).

[تولية محمد خوجة]

ثمّ بعد وفاة مسلم أفندي تولى ابنه ((سيدي)) محمد خوجة مفتيا وخطيبا ((وكان سيدي محمد خوجة من الحضر وكان معروفا)) (وكان ظريفا أديبا) صان الخطة وبدأ في تفخيمها بمكثه في داره لا مثل أبيه كان محلُّه القهوة[1]، إلى تولية الحاج شعبان خوجة الدولاتلي عزله، وكانت بين مدّته و مدّة أبيه مسلم لم تجمع ثمان سنين.

[تولية حسين بن رجب شاوش والد المؤلف]

وتولى والدي حسين بن رجب شاوش مفتيا وهو في سن الثلاثين

---

(1) أي كان يرتاد كثيرا المقاهي.

ومكث اثنتي عشر سنة وعزله أهشي مصطفى.

[تولية محمد النيار]

وولى مكانه الحاج محمد النيار، ((وهو رجلٌ جاهلٌ مُرتش، قليل الدين))، وكان أوّل من أهان العلم وأهله عند ملاقاة الأمير ((الطاغيّة آهشي مصطفى، وكان هذا أهشي مصطفى يُبْدي خُيَلاءه بلبس الذهب، وشاهدتُه مرّة يوم الجُمُعة قادما للصلاة في جامع علي بتشين، فرأيتُ خادمه الجالس بقربه يعاونه في حركات الركوع والسجود وأداء صلاة النافلة)).

وكان من قبل يقف الأمراء للعلماء والفقهاء عند الورود عليهم ((ويقبّلون أيدي العلماء والصالحين)) (ويودعونهم عند انصرافهم) وحضرت يوما لفرجة الديوان لمّا قدم قبجي باشي ((ورأيت (بأمّ عيني) قاربغلي حسن شاوش الدولاتلي)) يقّبل يد والدي ويد سيدي أحمد بن سيدي سعيد مفتي المالكية ويد ابن الحنفي القاضي ويد قاضي المالكية سيدي محمد بن القوجيلي، وقليل الدين النيار ينحني على يد أهشي ويقبّلها مرارا فتبعه الرفقاء وبقيت عادة، وتُرِك القيام إلاّ لمفتي الحنفية يقف ويمدّ له يده، وإن كان جالسا ولحق مفتي المالكية أو القاضيان لا وَقْفَة ولا تَزَحْزُح ((أذلّ الله من يهين العلم وأهله)).

وبقي ((هذا الجاهل في الخطة)) خمس سنين وخمسة أشهر،وعزله حسين خوجة شريف الدولاتلي.

((وهجمت العامة على النيار بعد عزله لتسترجع الهدايا التي طلبها من أصحاب الشكوى لمّا كان مفتيا، ولا يعيش الرجل الشريف لهذا، لكن هذا كان يتّصف بالفجور وانعدام الشرف والسرقة، وبلغ من جشعه أنّه صار

يستجدي الصدقة، واقتراف الاحتيال على حساب التّجار، وفي أيّ مكان تلتقي به فلتترقبه وسترى أنّه يهيئ لخديعة، وهو يُكشَف في الغالب،لكنّه لا يقلقه شئ فيواصل إساءاته ويرجع ثمّ يرجع، وهو كبير ومخيف، تلقاه يتكلم بيسر كما لو أنّه درس البلاغة طويلا، مع أنّه لم يدرس لا هذا العلم ولا أي علم آخر)).

((وإذا استفتيته في مسألة علمية فإنّه دائما على رأيك، ويوافقك بأن يقول لك: "نعم حسنا أو بارك الله فيك"، وتلك هي كلماته، وفي مدّة توليه الخطة هيَّأ عددا من الأجوبة الشرعية معتمدا على من عاصره من مؤلفين لم يقرأ لهم أبدا، ولم يكن لعلماء عصره أي اعتبار عنده)).

[تولية محمّد بن الماستجي]

وتولى مكانه تلميذ الوالد سيدي محمد بن الماستجي صغير السن لم يدرك الثلاثين ((وكان عالما نابغا)) ومكث مفتيا سنة وأربعة أشهر غير أيام وعزله حسن خوجة ((الدولاتلي)).

[تولية حسين العنابي][1]

وتولى مكانه سيدي حسين بن محمد العنابي وعزله بكتاش خوجة بعد أن مكث مفتيا ثلاث سنين غير أيام.

---

(1) حسين بن محمد المعروف بابن العنابي مفسر وواسع المعرفة في علوم الشريعة، وهو من فقهاء الحنفية نسبته إلى عنابة سكن مدينة الجزائر وولي الإفتاء فيها أربع مرات وتوفي بها من آثاره «تفسير القرآن الكريم»، أنظر: نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص244.

[تولية محمد النيار ثانيا]

وتولّى الحاج محمد النيار ثانيا ولاه دالي إبراهيم الدولاتلي ثمّ بعد أربعة أشهر وعشرين يوما عزله.

[تولية حسين خوجة الطوبال]

وتولى مكانه حسين خوجة الطوبال تَمَّم سبعة أيام مع دالي إبراهيم وأخَذ ثمانية أيام من دولة أُزُنْ علي شاوش باشا.

[تولية حسين العنابي ثانيا]

وبعد عزله تولى سيدي حسين العنابي ثانيا، وبعد شهرين عُزل.

[تولية حسين الماستجي ثانيا]

وتولى سيدي محمد بن الماستجي ثانيا وبعد سنتين عُزل.

[تولية حسين العنابي ثالثا]

وثَلَّثَ [1]سيدي حسين العنابي وبعد عشرين شهرا عُزل.

[تولية محمد بن الماستجي ثالثا]

وتولى سيدي محمد بن الماستجي ثالثا، وطال عشر سنين وعزله محمد باشا أربعة أيام باقية من صفر سنة 1050هـ[1640م][2].

---

(1) أي تولى للمرّة الثالثة.

(2) كذا ورد عند نور الدين ولعله خطأ من الناسخ إذ المفروض أن يكون التاريخ 1135 هـ 1723 م حسبما يقتضيه السياق كما سنرى.

[تولية الحاج علي تركمان]

وتولى مكانه الحاج علي تركمان مفتيا إلى أيام دولة إبراهيم باشا فعزله بعد مدّة اثني عشر سنة غير ثلاثة أشهر ((بعد صلاة الجمعة)) في الخامس من ذي القعدة سنة 1147هـ[1734م].

[تولية حسين العنابي للمرّة الرابعة]

وتولى سيدي حسين العنابي للمرة الرابعة و مات ((يوم الأربعاء)) 21 من جمادى الثانية سنة 1150هـ[1737م] وكانت مدته في الفتوى هذه المرّة الأخيرة ثلاث سنين وثلاثة أشهر.

[تولية محمد بن علي بن المهدي بن رمضان بن يوسف العلج][1]

وتولّى سيدي محمد بن علي بن سيدي المهدي بن سيدي رمضان بن يوسف العلج (وله نظم يروق على الأسماع ويعقد على فضله الإجماع) مكان المرحوم في وظائفه مفتيا وخطيبا ومدرسا بالجامع الجديد أطال الله بقاءه ونفع به المسلمين، وهذه مدّة ستة سنين ونيف.

[مفتو المالكية بمدينة الجزائر]

هذا ما كان من مفاتي الحنفية الذين تولوا بمدينة الجزائر، و أمّا من

(1) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن محمد القلغلي الشهير بابن علي كان حيّا سنة(1164 هـ/ 1751 م) شاعر وأديب من أهل مدينة الجزائر وبها نشأ وتعلم ثمّ ولي إفتاء الحنفية فيها أثنى عليه عبد الرحمن الجامعي الفاسي ووصفه بأديب العلماء وعالم الأدباء من آثاره ديوان شعر يشتمل على قصائد بليغة في المدائح النبوية، أنظر: نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص241.

السادات المالكية فإنّ خطة الفتوى بالجزائر قديمة لأنّ هذه المدينة دار علم وصلاح، وكان العلماء الذين يوثق بهم يُستَفْتون فيجيبون من غير تخصيص أحد في الفتوى، ثمّ بعد ذلك اقتصروا في الفتوى على اثنين، فمن ذلك ما رأينا وشاهدنا خطين لمفتيين في سؤال واحد، ولكن أحد الخطين جواب والآخر موافقة له، فعِلْمُ ذلك لا بُدّ كان واحد صاحب خطة والآخر زيادة رفعة وتصحيح.

ومن ذلك خط سيدي أحمد بن محمد بن أحمد بن منصور الذي قبره مشهور بزاوية يـوب عن يمين الداخل إلى صحن هذه الزاوية، وأيضا خط سيدي سعيد البكوش، فالأوّل مفتي وهذا موقوف عليه، والأوّل دار علم خلفا عن سلف: أحمد ومحمد وأحمد، وأمّا منصور فلا علم لي بحقيقته، وكذلك سعيد البكوش مجهول عندنا أيضا، وابنه محمد كان إماما بمسجد كتشاوة المقابل لعين تنبع بالماء هناك وهو ما سمعته من شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم بن أحمد بن موسى النيقرو هكذا عُرف، الأندلسي الأصل، الجزائري المنشأ والولادة والقبر عن مسموعاته عن أَبيه ومشايخه أنّ أبا البركات كان إمام بمسجد ستنا مريم قرب باب الواد المشهور الآن بمسجد ابن نيقرو، ومسجد ستنا مريم تسميته الصحيحة هي مسجد ستي مريم وهي امرأة محسنة أعادت بناءه لقِدَمه، من مالها الخاص في أواخر القرن الحادي عشر من الهجرة.

وأبو البركات الباروني[1] تولّى الإفتاء المالكي حوالي سنة 766هـ[1364م]

---

(1) هو أبو الخير بركات الباروني الجزائري فقيه وعالم كان معاصرا لأبي حمو موسى الثاني سلطان تلمسان (723-791هـ) قال عنه الونشريسي إنّه: «من العلماء الجلة الأعلام وممّن وضع على فروع ابن الحاجب شرحا في سبعة أسفار وأنه كان يأخذ الأجرة على الفتوى بتلمسان حين نقله

((زمن الزلزلة العظمى التي رويتها من رحلة البرشكي)).

وقد أخبر عن هذا سيدي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي[1] في كتابه المسمى «جامع الهمم في أخبار الأمم» تأليف ضخم في سفرين.

وتوفي أبو البركات بالجزائر وقبره خارج باب الواد عند باب البيت الذي ينزل له بثلاث درج، وفيه قبر ((الولي الصالح))سيدي محمد التلمساني (في المدارج) ((أسفل حصن ستي تاكليت بجانب البحر يسار طريق الذاهب للشاطئ وهذين القبرين غير معروفين)).

فخطّة الفتوى قديمة في مدينة الجزائر، وهذا ما بلغني من خبر مفاتي المالكية الأولين.

[محمد بن اسماعيل المطماطي]

وشاهدنا خط سيدي محمد بن اسماعيل المطماطي الذي كان مفتيا قبل سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة ((وقدورة قرية قرب جربة)).

سلطانها أبو حمو موسى بن يوسف من بلده لتلمسان ثمّ غفل عنه». وقال التنبكتي: «ونقل عنه المازوني وصاحب المعيار (فتاوى)» أنظر: أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة- المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1985، ص107-108.

(1) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (786-875هـ/ 1384-1470) صوفي من كبار المفسرين وأعيان الجزائر وعلمائها ولد ونشأ بناحية وادي يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر وتعلم في بجاية وتونس ومصر ودخل تركيا، ثمّ حجّ وعاد إلى تونس سنة 819هـ ومنها الجزائر، وولي القضاء، له أكثر من تسعين كتابا أشهرها: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» توفي سنة 875 هـ ودفن في جبانة الطلبة في مدينة الجزائر، أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص90.

[أصل سعيد قدورة][1]

((وأخبرني شيخي سيدي مصطفى العنابي أنّ سيدي سعيد ولد بقدورة، وأنّ والده أحضره للجزائر، وقد عمل والده إبراهيم بن عبد الرحمن التونسي أصلا، خبّازا قرب زاوية سيدي الأكحل قرب باب عزون.

وكان سيدي محمد بن بلقاسم بن إسماعيل المطماطي شيخا لسيدي سعيد وذلك ما رواه الثعالبي[2] العالم المعروف، ولم يكن سلفه المباشر لأنّه كان يوجد بينهما مُفتٍ آخر هو سيدي أحمد زروق بن عمار.

ونجد قبر المسمّى سيدي بلقاسم المطماطي جنوب الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد الله[3] مؤلف الجزائرية بإمكاننا أن نعدّ من المفاتي المعروفين سيدي

---

(1) هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة 1066هـ/ 1656م مفتي مدينة الجزائر وفقيهها وعالمها وصالحها، تونسي الأصل، جزائري المولد والنشأة، أخذ عن سعيد المقري وغيره، وأخذ عنه محمد بن إسماعيل مفتي الجزائر، ويحي الشاوي وغيرهما، من آثاره «شرح الصغرى» للسنوسي، و«شرح السلم المرونق» في المنطق للأخضري و«شرح على جوهرة التوحيد لللقاني»، في العقائد، أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص259.

(2) الثعالبي المذكور هنا هو أبو مهدي جار الله عيسى بن محمد الهاشمي الثعالبي الجزائري (1020-1080هـ/ 1611-1669م) محدث وفقيه أصله من ناحية وادي يسر (وطن الثعالبة) بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر ولد ونشأ بزواوة وانتقل إلى العاصمة فأخذ عن الشيخ قدورة وغيره ورحل إلى تونس ومنها إلى الشرق وحج سنة 1062هـ وجاور مكة ثمّ دخل مصر وأخذ عن علمائها وعاد إلى مكة ومكث فيها، له فهرسة سماها «كنز الرواة المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع» في أسماء شيوخه والتعريف بهم وبمؤلفاتهم ومقروءاتهم وأسماء شيوخهم، وهو الذي أشار إليه المؤلف أعلاه، أنظر ترجمته في: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص91.

(3) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي (800هـ-884هـ/ 1398م-1479م) متكلم فقيه مالكي من كبار العلماء في وقته، أصله من زواوة وسكن مدينة الجزائر وتوفي بها، له منظومة لامية تنيف على 400 بيت وتسمى أيضا الجزائرية في العقائد الإيمانية شرحها الإمام محمد بن يوسف السنوسي وأثنى عليه وله أيضا القصيد في علم التوحيد. أنظر ترجمته في: تعريف الخلف، ج 1، ص33

عمار بن محمد بن داود بن محمد الجزائري، وهذا هو نسبه كما ذكره هو نفسه في..... بيـــاض.....))

[تولية أحمد زروق بن سيدي عمار]

وكان سيدي أحمد زروق بن ((سيدي)) عمّار ممّن كان أهل الديوان والبَلْدِيَّة يقصدون توليته لأجل إصلاح ما يهِنُ من الجامع الأعظم كالسور الذي على البحر ناحية البلاط العتيق [وكان قد] سقط، وجَدَّد سيدي أحمد زروق بن عمّار ما انهدم من ماله وكان ((رحمه الله)) صاحب ثروة ورفعة وحين تمّ البناء عزلوه ووَلَّوا ((سيدي)) سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ((قدورة)) التونسي النَّجار، الجزائري ((المولد)) والدار، لأنّه ممّن اتفق أهل البلد على حبه، ((فسعوا بلا كلل بدسائسهم لدى الولاة العجم، وجاوزوا الحدّ بمطالبهم، وكان هؤلاء[1] مبتلين بخلو البال قبل التقصي وبعده، مع أنّ الآخرين [2]كانوا أعقل النّاس ليُحَاجُّوا في أمرهم)).

((وتناوب سيدي سعيد مع سيدي أحمد زروق الخطة وتكرر عزل وتولية كلاهما مرارا وتكرارا حسبما أخبرني به شيخي سيدي محمد بن أحمد بن موسى النيقرو، هكذا عُرِف الأندلسي الأصل، ومضى الأمر هكذا حتّى مات سيدي أحمد زروق بن عمار رحمه الله، وقبره لا يعرفه إلاّ قلّة من النّاس، وأنا أعلم علم اليقين أنّه يوجد قرب قبر الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري وسط الدرج قرب سيدي علي الشاطبي وقرب قبر الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي من الله علينا ببركاته آمين)).

---

(1) أي الحُكّام الأتراك.

(2) أي أهل البلد.

[تولية سعيد بن إبراهيم قدورة]

وتولى ((سيدي سعيد بن إبراهيم)) الفتوى بعد رجوعه من فاس بعد قراءته هناك، وأخذ إمامة مسجد البلاط ثمّ خطابة جامع سيدي رمضان. وتولى الإفتاء بعد عزل ((سيدي)) أحمد زروق بن عمار سنة 1028 هـ[1618م] وعاصر ابن قرمان مفتى الحنفية، وطال في فتوى المالكية أعواما، ويوم توليته حاسبوه على أوقاف الجامع الأعظم كما هي عادة كلّ من يتولى الإفتاء فوجدوا محفوظا من القديم أيام الذين قبله من المال الفاضل عن مصاريف الجامع اثني عشر ريال بـوجه، ثمّ بعد ثمانية أعوام طلبه للمحاسبة أرباب الدولة وأهل البلد والكلّ منهم، فامتنع برفق أوّلا ثمّ إنّه سألهم: هل لا بدّ من المحاسبة؟ فأجابوه بنعم، فأطلعهم على الحساب وعلى ما اشترى من الكتب للجامع منها شرح العيني[1] على صحيح البخاري وعرّفهم بإصلاحات وبناء أماكن بليت وتلاشت والكلّ عنده عليه وثائق بخط العدول الثقات، فخاب سعيهم وظنونهم الفاسدة.

وكان له أربع خلفاوات ينوبون عنه بالتداول إن تأخّر عن الخطبة أو صلاة الظهر والعصر ((على العادة التي سنّها أسلافه)) فمنهم ((العالم)) الفقيه بن رأس العين تلميذ سيدي علي الأنصاري وسيدي مزيان وسيدي محمد بن قرواش وآخر لم يبق اسمه في حافظتي، وأرزاقهم من عنده لا من عند الأوقاف ((وكان صاحب ثروة)) وكانت له أرض حراثة ولا ينفق

(1) هو قاضي القضاة بدر الدين العيني الحنفي تفقه واشتغل بعدد من العلوم وولي قضاء الحنفية بالقاهرة، له شرح على البخاري وتاريخ يعرف باسمه وغيرها، أنظر: صديق بن حسن خان القنوجي، أبجد العلوم، ج 3، منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1999، ص 85.

على نفسه من دخل أوقاف الجامع الأعظم، وكانت جماعات من أهل البلد يشاركونه في معاملاتهم التجارية ((شركة تَقَبُّل وعدُّوه من شركائهم وأدخلوه في القسمة)) وكانت في ذلك الزمان البضائع رائجة والدراهم كثيرة والغنائم البحرية تباع في البادستان.

((وأذكر أنّ بعض النّاس أخبروا بما شاهدوه وهو الأتي: مَثُل أمامه جماعة من النّاس وأودعوا بين يديه أحد عشر مائة بوجو، و قالوا له: «نحن نَعُدُّكَ شريكنا، وكلّ واحد منّا يتلقى من نصيبه حصة مساوية لهذه، لكن تخلى لنا عن حصتك... بيـــــاض...))

[تولية محمد بن سعيد قدورة][1]

ولّما تعاظمت حرمة سيدي سعيد وكثرت أشغاله قدّم ابنه ((سيدي)) محمد ((العالم)) الفقيه ((القدير المفسر)) المحدث، شاهدت شهرته أيام صباي، وكلّفه أبوه مع صغر سنه بالفتوى والخطابة والتدريس لفضله ونباهته، وكان قبل ذلك ((سيدي سعيد)) كلّف ((سيدي)) محمد ابن قرواش ليقوم مقامه، وبعد أربعة أشهر لامه أهل البلد على ذلك وجزعوا من صنعه ثمّ حصل الاتفاق بينه وبينهم على تقديم ابنه محمد ((خليفة له))، وعاش سيدي سعيد مدة بعد ذلك وتوفي سنة 1066هـ[1655م]، ((رحمه الله ومنّ علينا من فضله وبركاته)) ودفن بزاوية ((الولي الصالح)) سيدي أحمد

(1) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن ابر هيم قدورة من أكابر علماء مدينة الجزائر، انتهت إليه خطابتها وفتياها. قال في «تعريف الخلف»: «شيخ الفقه والحديث ووارث الشرف القديم والحديث، عليه يعتمد في رواية الآثار وتصحيح أسانيد الأخبار..» وقال ابن زاكور: «سمعت من إملائه في مجلسه الخطير جملة وافية من الجامع الصغير وأبوابا من صحيح البخاري، سماع دراية وتحقيق رواية، فرأيت من ظرفه ولطفه ما سحر وبهر، وتنزهت في فهمه وحفظه في جنة ونهر.

بن عبد الله ((الجزائري)) عند قدم شيخه ((سيدي)) محمد بن بلقاسم بن إسماعيل المطماطي ((رضي الله عنهم آمين)) وتولى بعده ابنه ((سيدي)) محمد بن سيدي سعيد.

[نقل كتب الجامع الكبير]

وفي أيام البونية رفعوا كتب الجامع الكبير ونقلوها إلى برج مولاي حسن خارج باب الجديد أعلى المدينة، نقلوها على الإبل ثلاثة أيام، وأمّا عدد الإبل لا أدري كان اثنين أو أكثر كذا أخبرني شيخنا سيدي مصطفى العنابي.

وقد عاصر والدي حسين بن رجب في الفتوى ((سيدي)) محمد بن سيدي سعيد الذي تولى نحو الأربعين سنة من عام 1066هـ[1655م] إلى عام 1107هـ[1695م].

[تولية أحمد بن سعيد قدورة]

وجاء بعده أخوه ((سيدي)) أحمد بن سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم من عام 1107هـ[1695م] إلى عام 1118هـ[1706م].

[سبب عزل محمد بن سعيد قدورة]

ووقع عزل ((سيدي)) محمد بن سيدي سعيد حوالي عام 1090هـ[1679م] بضعة أيام فقط ((لكن لفترة ودون أن ينوبه أحد))، والسبب في هذا العزل هو رسالة بعثها حسّاده للأمير ((الحاكم حينها اتهموه فيها بأعمال شائنة وبقلة الوقار وذلك بعيد عن الحق، فقد كان فاضلا وكريما، وهذه التهمة ليست إلاّ أكاذيب وافتراءات من ذوي النية السيئة، وقد أعيد

للخطة قبل الجمعة التالية، ووجدت إشارة إلى هذه الواقعة في كتابه نثرية وشعرية حررها أصدقاء المفتي المذكور بعد سنين من حدوثها، وهي لا تزال بحوزتي))

[مصير كُتُب الجامع الأعظم]

وبعد عزل ((سيدي)) أحمد بن سيدي سعيد ((شقيق سيدي محمد المذكور من خطتي الفتوى والخطابة)) في أيام دولة أهشي مصطفى طلب ((منه خلفه الذي سنتحدث عنه فيما بعد، إرجاع الكتب التي كانت بالجامع الكبير بحضور شيخنا المذكور سيدي مصطفى العنابي والحاج المهدي بن صالح الذي سنتكلم عنه فيما بعد عند الحديث عن قضاة المالكية و مفاتيها، وبحضور عدد آخر)) وكان هناك اثنتا عشر غرارة مملوءة بها ((هذا ما عرض لهم، وأنا الفقير شاهدتها بعد ذلك مرارا أيام سيدي عمار)) ((وكانت ما يزيد على مائة سفر ثمّ توزعت بعد ذلك وردّوا بعضها، فالحاج سعيد كان مفرطا في الإهمال فسمح أيام توليه الفتوى لعدد من النّاس بالاستيلاء على الكثير من الكتب، و لمّا توفي سيدي محمد بن ميمون وكيل سيدي جامع وصديق هذا المفتي وَجَدَ سيدي عمّار عنده بحضوري وحضور شيخي سيدي محمد بن نيقرو أكثر من أربعين سفرا)).

((وكذلك أخذ سيدي الطبار الماروني عددا من هذه الأسفار، وبعد وفاته نقلها ابنه إلى تونس وباعها، كما أنّ ولده ابن المرتضى وسيدي عبد القادر بن الشويحات وآباؤهم وأبناء ابنة سيدي سعيد قد سرقوا كمّاً كبيراً من هذه الأسفار وجمع سيدي محمد بن مبارك في مدّة تولّيه الفتوى الكثير من الأسفار)) ولم يبق منها اليوم إلاّ نحو ثلاثمائة سفر.

[عودة إلى رسالة عزل محمد بن سعيد قدورة]

وفي شأن الرسالة المشار إليها آنفا فإنّه لم يَشع أمرها ولم يسمع بها إلاّ بعض أصدقاء المفتي المذكور، ولم يخبرني عنها لا والدي ولا شيخي ((سيدي)) مصطفى العنابي ولا ((سيدي)) محمد بن نيقرو ((رغم أنّهم حدّثوني عن الكثير من المرويات)) وكذلك إخواننا الأصدقاء ((الذين سأسميهم)) والذين لهم خبرة بأحوال المتقدمين وكثيرا ما تحاورنا معهم في هذا المعنى وغيره، مثل ((سيدي)) محمد بن محمد الثغريري[1]، كان عالما ابن عالم و((سيدي)) محمد وهو عدل ببيت المال وبن ((سيدي)) محمد بن عمر القاضي ابن المنقلاني و((سيدي)) محمد بن علي بن سيدي المهدي بن (رمضان) بن يوسف العلج و((سيدي)) (الحاج) أحمد بن اليتيم ((وهو عدل بمحكمة الحنفية و((سيدي)) مصطفى بن الطالب الأندلسي من أكابر البليدة وأعقلهم (وأتقنهم أمرا) و((سيدي)) محمد بن قانيط (الجزيري المنشأ الأندلسي الأصل) ((شيخ الحضرة الصوفية)) (وعمّنا علي بن المهدي والحاج حمودة وأحمد بن المسيسني قاضي بيت المال) ((والكلّ يجهل هذا العزل، و قد عاصر الجميع والدي الذي زاول خطة الفتوى ثمان سنين)).

((وتوفي سيدي محمد بن سيدي سعيد سنة 1107هـ[1695م])).

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن محمد الثغري الجزائري ناظم فقيه مشارك في عدة فنون من أهل مدينة الجزائر له قصيدة في فتح وهران وموضح السر المكنون على الجوهر المكنون الثلاثة فنون فرغ منه سنة 1115هـ/ 1703م، أنظر: نويهض:معجم ـهاتك الجزائر، ص 92.

[النزاع بين مفتي المالكية ومفتي الحنفية]

((وتولى بعده أخوه سيدي أحمد[1] ثمّ عُزل هذا في دولة أهشي مصطفى)) وسبب عزله الخلاف الذي نشأ بينه وبين النّيار مفتي الحنفية في مسألة: «الزوجة إن أساء إليها الزوج» فحكم النيار بالسُّكنى بين قوم صالحين آخرين، ألا ترى لو كان سكناهما بين قوم صالحين أيستقرّان في السكنى هناك أو يؤمران بالانتقال إلى قوم آخرين؟ فاختلفا في الاستقرار والانتقال وآل الأمر إلى النزاع الفاضح ((وتبادل السِّباب وجرى هذا في اجتماع وقع في الجامع الأعظم، واتفقوا بعدها أن يمثُلوا بعد الظّهر في حضرة الدولاتلي)) فترافعا للأمير وحضر معهما علماء البلد فانقسم هؤلاء إلى فريقين أحدهما مع مفتي المالكية والآخر مع مفتي الحنفية ((فسيدي مصطفى العنابي وأخوه الحسين والحاج المهدي بن صالح وسي محمد قندرون وقفوا مع مفتي الحنفية النيّار، وأمّا سيدي محمد بن علي وسيدي الطّبار وسيدي عمّار وسيدي محمد بن علي بن سيدي المهدي فوقفوا مع المفتي سيدي أحمد، ونَعُدّ من أنصاره سيدي محمد بن نيقرو ووالده إبراهيم بن نيقرو الذين شاركوا أيضا في هذا المسعى، وفاز بالغلبة فريق مفتي الحنفية، واستقبلهم الأمير وسألهم فتكفّل بالجواب سيدي مصطفى وأخوه فأخذوا الكلمة وقالوا: إنّ مفتي الحنفية النيّار على صواب، وقال الأمير مصطفى أهشي: «إنّي أعزل سيدي أحمد

---

(1) أحمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة: من كبار فقهاء المالكية، له اشتغال بالسياسة، من أهل مدينة الجزائر. تولى إفتاء المالكية بها، حكم عليه الداي محمد بكداش بالإعدام (سنة 1118هـ-1706م) بعد سجنه لاشتغاله بالسياسة. قال صاحب «تحفة الزائر»: «ولما تولّى محمد بكداش مكان الداي مصطفى باشا سنة 1118هـ، قبض على الأخوين العالمين: السيد أحمد والسيد علال ولدي العلامة المؤلف الشهير الشيخ سعيد قدورة، وكان الأوّل مفتيا للمالكية، والثاني قاضيا لهم، فقتلهما في محبسهما.

وأولي مكانه رجلا من أقاربه قصير القامة وأُوكِلُ إليه شغل خطة إمام الجامع الأعظم» فأجابوه: «نعم إنه يسمى عبد الرحمن المرتضى»)).

[تولية عبد الرحمن المرتضى]

((واستدعوا هذا الأخير على عجل وأتوا به، وحينها تكلّم الحاج المهدي بن صالح الذي عزل من خطة قاضي المالكية ونابه سيدي محمد بن العالم محمد القوجيلي، وتوجّه إلى سيدي عبد الرحمن المرتضى وقال له: «لقد أنعم عليك الأمير بمنحك خطّة الفتوى فارض ونحن نوجه لك التهاني إن شاء الله»، ثمّ استدار ناحية سيدي أحمد وقال له: «انهض واذهب فأنت معزول»، فنهض هذا وخرج وجلس المسمّى: «المرتضى» مكانه، ثمّ توجّه الحاج المهدي نفسه إلى قاضي المالكية وقال له: «انهض أنت أيضا فأنت معزول لتتقاسم مصير رفيقك سيدي أحمد» ووضع يده فوقه وجرّه، وعندها اضطرب سيدي محمد من هذه الفضاضة، فنهض وخرج في إثر سيدي أحمد بن سيدي سعيد، وجلس سيدي الحاج المهدي بن صالح في مكانه، كما لو أنّه قاضي المالكية، واستولى على هذه الخطّة بسبب هذا التخويف وهذا البهتان الشنيع والفوضى، ولم يعارض أحد، واعتقد الأمير أنّ هذا العزل مطابق للشرع وأنّه يحضى برضا العلماء، ولكن لا شيء من هذا، فعُزل سيدي أحمد بكلمة من الأمير، وأمّا قاضي المالكية فاستولى على منصبه غدرا بالرغبة الشديدة التي كانت له، وقد وجد ساعة مناسبة أحدثتها ثورة الأهواء ونجح بسبب صمت فريقه، فقد كان اجتماع رجال صامتين.))

[محنة القاضي الحاج المهدي]

((وزاول الحاج المهدي خطة القضاء مدّة عشرين شهرا، ثمّ عزله تلميذه الدولاتلي حسين خوجة شريف ونفاه إلى بلاد العجم بعد أن عرَّضه لإذلال كبير، وأمر من قدَّموا له الهدايا أن يسترجعوها، وجرى الأمر هكذا: اقتحم حشد كبير المركب التي يركبها وأجبر على إرجاع حصّة كبيرة ممّا تلقّاه.))

[عودة أحمد بن سعيد قدورة للإفتاء]

((وأمّا سيدي أحمد فقد ظل معزولا بقيّة يوم الخميس والجمعة والسبت، وفي صباح يوم الأحد استقدمه الأمير أهشي مصطفى الدولاتلي وطلب منه الصفح وأن يكون راضيا، وأعاده إلى خطّة الفتوى وعزل المرتضى، وبقي سيدي أحمد في الخطة حتىّ بداية دولة سيدي محمد بكتاش خوجة.))

((وفي ذلك الزمن حيكت الدسائس من الوشاة لبكتاش خوجة وصهره أُزُنْ حسن شاوش الذي يشارك بكتاش خوجة في القيادة والإمارة، وهذا هو المقصد الذي وقعت من أجله الوشاية: لمّا صار حسين خوجة دولاتلي فإنّه عهد لمحمد بكتاش خوجة بخطة دفتر دار الجيش المنصور وخطة آغا بيت المال لأُزن حسن شاوش وإلى المسمى الحاج محمود، وبعد مدّة تلقّى حسين خوجة إخباريات سريّة حول الثلاثة، فتبين مخاوفا من مقصدهم فرماهم في الحبس، وضرب كلّ واحد منهم ألف ضربة عصا، واستثنى من ذلك بكتاش، ثمّ نفاهم إلى طرابلس، وهناك عقد هؤلاء العزم: «إمّا الموت أو الوصول إلى الإمارة»، فرجعوا للجزائر، وفي صبيحة الجمعة دخلوا دار الإمارة وبقوا هناك، ثمّ دعوا أهل الديوان وثبّتوا بكتاش خوجة: دولاتلي.))

((وبُوغِت حسين خوجة في مصلى سيدي والي دادا، وكان في داره ولم يقدر على الذهاب إلى دار الإمارة، أعاقته دمل بين كتفيه فوضع في مركب صيد وأرسل إلى «بجاية» تحت رقابة الحراس التُّرك، وهاج البحر هيجانا عظيما، فذهبوا للاحتماء في موضع من الساحل قريب جدّا من دلس.))

((ولمّا بلغ نبأ وصول حسين خوجة أنزلت القبائل الساكنة قرب زواوة جماعة من النّاس وانتزعوه من يد التُّرك، وحملوه على الأكتاف إلى زواوة علامة على التوقير والاحترام، وعاش بعد ذلك أربعة أشهر ثمّ مات من تلك الدُّمَل، وإنّ محبتهم له راجعة إلى أنّه لا يُحِبُّ القتل ويُوقر الشَّرع.))

((وصار أُزُن حسن كاهِيَةً[1] لصهره بكتاش خوجة، وقاد الأمحال وَقْتَ مَا وجد ضرورة لذلك مثل مسيره لفتح وهران، وفتح هذه المدينة، رغم حضور الباي مصطفى باجي بيوك[2]، ومثل تتبعه لعلي بن محمود باي الشرق الذي هرب إلى الصحراء سارقا حصيلة الجباية، وذلك رغم حضور والي باي المتولي بعد علي بن محمود، ولم يجحده صهره قط.))

((وأمّا الحاج محمود فإنّه أُرجِع لخطة آغا بيت المال، وقد زعمو أنّ سيدي أحمد بن سيدي سعيد لم يكن يجهل ما وقع للثلاثة ونفيهم، ويحتمل أن يكون ذلك بسبب المحبة الكبيرة التي يوليها إيّاه. حسين خوجة، وبرأي بعض النّاس كان هؤلاء الوشاة السبب فيما وقع.))

((أمّا أنا فإنّي أعلم أنّه توجد عداوة بينهم وبين سيدي أحمد، ومن بين هؤلاء المتعادين يوجد شيخي مصطفى العنابي وأخوه سيدي حسين، وانشغل شيخي كثيرا به واهتمّ بمنافعه، وكان من عادته أن يستعلم بدقّة عن

(1) أي خليفة.
(2) هو الباي مصطفى بوشلاغم.

الوقائع التي يمكنها أن تنال من احترامه ولمّا يعهد إليه أحدٌ أمرا على سبيل السر فإنّه يفشيه.))

[حجز أحمد قدورة وابن أخته سيدي علال]

((وحجز بكتاش خوجة سيدي أحمد وسيدي علال[1] وتركهما في الحبس من الصباح حتىّ غروب الشمس في مكان مليء بالدنس في باب حبس قائد الشرطة وهو المزوار، حتىّ كادا يختنقان، وفي نفس اليوم أخرجوهما من حبس الباشا الكائن في القصر المخصّص لمجرمي العرب، ورفعوهما إلى عَلْوِي المِزْوَار، وكانت بابه ضيّقة على سيدي أحمد لسمنته الزائدة، وقُتل الاثنان في الشارع في باب العلوي -رحمهما الله- في شهر ذي الحجة سنة 1128هـ[1715م].

وكان سيدي أحمد بن سيدي سعيد كريم الشمائل نبيهاً بالدرس، له باع في النحو وأصول العقيدة، ويملك صبرا كبيرا للإجابة على عجل وكفاية على كلّ المسائل)) (وكان أديبا نجيبا وخطيبا فصيحا).

[تولية عبد الرحمن المرتضى للمرّة الثانية]

وتولى بعده ابن أخته ((سيدي)) عبد الرحمن بن أحمد المرتضى ((الذي دعي للمرّة الثانية لخطتي الفتوى والخطابة بالجامع الكبير))، وذلك في أيام الدولاتلي بكتاش خوجة، ((ثمّ عزل زمن الدولاتلي دالي إبراهيم، وكان المرتضى حاذقا في علم الكلام، وفي علم الحديث، وقبل ذلك شغل المرتضى خطة نقيب الأشراف التي تولاّها والده قبله، وحين تولى الفتوى أوّل مرّة

(1) علال بن سعيد بن إبراهيم قدورة: قاض من فقهاء المالكية، له مشاركة في بعض العلوم، أعدمه الداي محمد بكداش مع أخيه أحمد سنة1118هـ-1706م، وهو قاض على مدينة الجزائر.

تولى مكانه في خطة نقيب الأشراف سيدي محمد من ذرية الولي سيدي محمد الشريف، وقبره كائن أعلى أحياء الجزائر وهو معروف)).

[تولية الحاج سعيد]

((وتولى بعده: ابن خالته الحاج سعيد زوج عزيزة بنت سيدي محمد بن سيدي سعيد، وكانت زوجة لمفتي الحنفية حسين أفندي.))

((وهذا الحاج سعيد كان أبلد مخلوقات الله تعالى، ولم يكن يُفَرِّقُ بين صياح الديك وثغاء الخروف، وكان خبيثا، وصل إلى هذه الخطة بكُرْهٍ ونُفُور، وجاءت توليته بسبب أنّ أهل المدينة كانوا يُجِلُّون آباءه وأسلافه ويستبشرون بهذه العائلة، وكانوا يعتقدون بل حتىّ يتيقنون أنّ البركة تلتصق حتّى بالأبناء في سن الحداثة، وكثير من محاوراتنا معهم في هذا المعنى، وهو: «أنّ المدينة ما لم يتولّ فيها مُفْتٍ ينتسب لذرية سيدي سعيد فإنّه سينهال عليها وابل من البؤس كغلاء الأسعار والزلزلة والصاعقة وأشياء أخرى» وبقي الحاج سعيد في الفتوى أكثر من سبع سنين)).

[تولية المهدي بن الحاج صالح]

وتولّى بعده ((العالم الوجيه الأصولي البياني سيدي)) الحاج المهدي بن الحاج صالح، وكان قد شغل منصب القضاء قبل ذلك وبقي خمسة أشهر بعد تعمير الجامع الكبير بالتدريس للحديث وكان له فيه باع ((ويجمع عليه الجموع في الجامع الكبير))

((وفي أحد الأيام نزلت الصاعقة على المنارة، فاستغلّ هذه الحالة شخص وضيع أعرفه معرفة اليقين، وهو رجل قليل التقوى مهمل في

صلاته، يتعاطى الربا، وله عبيد كفرة يبيعون له الخمر في البيوت ويتقاسم الربح معهم، وقد توهّم أنّ هذا العمل مباح، وسمعت منه هذا بنفسي وقد قصد الدولاتلي أُزُنْ علي باشا وقال له: «إنّ أهل المدينة يقولون لك أنّ المدينة لن تهنأ مع مُفْتٍ ليس من أبناء سيدي سعيد» وبسبب هذا المسعى عُزِل الحاج المهدي بن الحاج صالح)).

[تولية عبد الرحمان المرتضى للمرّة الثّالثة]

وتولّى بعده ((سيدي)) عبد الرحمان المرتضى خطّة الفتوى للمرّة الثّالثة، وكان المتآمر وسبب هذا العزل هو الحقير يوسف بن الكرتيلو لا غفر الله له عمله، فقد تسبّب في عزل عالم نابغة ضليع في أربعة علوم يكفيه واحدها وهي: النحو، والأصول، والبيان، وعلم الحديث.

وكان سيدي عبد الرحمان المرتضى تعوزه الفطنة فهو كما وصفته من قبل))، وكان حسن الخطّ، وهو لا مدخل له في هذه المنقبة الجليلة والخطّة الرفيعة، وبقي خمس سنين و نيّفا، وتوفّي -رحمه الله- ((لعشر بقين من انقضاء شهر شوال)) سنة 1128هـ[1715م].

[تولية عمار بن عبد الرحمن التلمساني]

وبعد وفاته تولى شيخنا سيدي عمّار (بن عبد الرحمن) ((التلمساني)) (المستغانمي) الأصل والولادة، الجزائري المنشأ والدار، فقيه بياني أصولي، نحوي أصولي متكلم منطقي فرائضي صالح جاهل بأحوال الدنيا بعيد عن أمورها، وكان ((قد أسبغ بركاته الربانية وصلاحه على)) محمد باشا وعبدي باشا، وكانا يعظمانه، و((كان له حقّا فضل عظيم لكنه)) كان عاجزا عن

الخطبة لا صوت له عندها ويكتسيه الخجل، إلى أن يعرق عرقا، مع أنّه في تقريره للعلم جهير بالكلام معبر ذو همّة ونفس عالية ((رضي الله عنه)) وعاش في أيام فتواه مشوّش البال مكدّر الحال من زوجته تختلس الدراهم من جيبه، فكان دائما ((فقيرا)) مدينا، لقيته يوما فشكا لي منها ومن أخيها ((سيدي)) محمد بن سيدي هدى وكان خليفته في الجامع، وقدّمه للخطبة نائبا عنه، وكان لـه وظائف بيده كثيرة كالكتابة لأوقاف الجامع ويقبض على الجميع ما يقرب من الخمسين ريالا دراهم شهرية، ولم تكفه لسعة نفقته على ضيوفه، فكان ينفق في بعض الليالي عليهم الثلاثين والأربعين ريالا، ((مع أنّ هذه الموارد زهيدة)) وشاهدنا ((مرتين)) ما كان ينوع من الطعام النّفيس مع تكليف نفسه فوق طاقته إلى أن بلغت عليه أربعة آلاف ريال دراهم دينا، وجلّها بقيت بذمّته يوم وفاته ((رحمه الله))، فكان مع كلّ ما يقبض من الوظائف، وما يقرض يحوم على مدخول المفتي، وقال لي هذا الآخر ليس لي إلاّ هذه القمجة التي عليَّ وأولادي عراة حفاة نريد تطهيرهم وليس قدرة على اشتراء ثياب لهما يوم الختان ومرض بالجنب، وتوفي رحمه الله ((ومنَّ علينا ببركاته يوم الاثنين)) في 15 من صفر سنة 1144هـ[1731م]، ودفن بحذاء صهره أبي زوجته سيدي هـدى على أعلى جبل بوقندورة فوق ضريح ((الولي الصالح)) سيدي محمد السعدي الزواوي ((منَّ علينا من بركاته.))

[تولية محمد بن أحمد بن مبارك]

وتولّى بعده بثلاثة أيام ((في يوم الخميس 18 صفر 1144هـ[1731م]، سيدي)) محمد بن أحمد بن سيدي مبارك، فقيه نحوي متكلم معبر وجيه أصلح الخطة لوفور ذكاء عقله، وكسا الجامع وبنى وأصلح الخلل بشطارته

وحسن سيرته، ومن العجائب أنّه سقط حائط الجامع الكبير الذي من ناحية طريق المارين إلى المرسى، فبناه في أيام قلائل بإعانة أهل المدينة إيّاه والرؤساء الأكابر بالدراهم وأهل الصنائع والحرف بأنفسهم، وفي كلّ يوم جماعة صنعة كبيرهم وصغيرهم حبّا منهم في الخير، بدأت جماعة الدباغة من أولاد العرب في داخل المدينة ثمّ جماعة من صنعة أخرى فاجتهدوا في العمل، و((سيدي محمد بن سيدي مبارك)) كان واقفا عندهم يلاطفهم في القول وجلب الخلق لفعل البر والمعروف ((وكان كثير النباهة والدماثة)) مع أنّه كان صعب المراس جزوعا سريع الغضب ((يعظم الصغائر ولو أنّه يبدو متواضعا معتدلا خاليا من الرذائل))، وقد اعتراه الاستسقاء، ((ودخَلتُ عليه يوما لزيارته فوجدته رحمه الله مكروبا من الإحساس بالاختناق في صدره وكانت وجنتاه مُحَمَرَّتان، ورغم هذا فقد احتفى بي وكانت بيننا قديما خصومة، وبقيتُ مدّة لا أكلمه، ولّما تولى كانت بيننا خصومة ثانية، وظلّ الفتور بيننا، ويوم وفاته صفحنا عن بعضنا كُلَّ ما بيننا، وقد توفي بعد آذان الظهر يوم الاثنين)) ودفن ((في اليوم التالي)) في تربة أبيه بباب عزون بقرب المضاربية فوق صناعة الدباغة لأولاد العجم في 25 ذي القعدة 1150هـ[1737م].

[تولية محمد بن إبراهيم بن أحمد بن موسى النيقرو]

وتولى بعده شيخه وشيخنا العالم الفقيه النحوي الأصولي البياني المنطقي المتكلمي الحيسوبي الفرائضي المحدّث سيدي محمد بن ((سيدي)) إبراهيم بن (أحمد) بن موسى النيقرو الأندلسي الأصل، الجزائري الولادة والمنشأ والقبر، تولى لثلاثة أيام بعد وفاة المفتي ((السابق)) في 27 ذي القعدة 1150هـ[1737م].

وتنغّص عيشه في أيام فتواه من ابنه الأكبر وكان يعوله مع زوجته وهي غير أم أولاده الموجودين في ذلك الوقت، وكثر نزاعه مع خليفته في الجامع ((سيدي)) محمد بن هـدى ((رضي الله عنه)) الذي كان متشهي الخطبة بالاستئناس في المدّة الماضية أيام صهره زوج أخته ((سيدي)) عمار بن عبد الرحمن لعجزه وكبر سنه كما قدمنا من ذلك، وكذا في أيام ((سيدي)) محمد بن ((سيدي)) مبارك الذي كان يحبه ويراعيه ((بسبب والده))، فترك له الخطبة ليجد الراحة فظنّ محمد بن هـدى أنّ الأمر يكون كذلك في مدّة ((سيدي)) محمّد بن نيقرو الذي كان قبل ولايته للإفتاء ينوب في الخطبة إمام جامع القشاش وهو ((سيدي)) عبد الرحمن بن سيدي المهدي بن محمد إن تأخر لعذر، وكان ينوب أيضا المرتضى بالجامع الأعظم مرارا عديدة، ولمّا اتّصل بالإفتاء ترك كلّ نيابة ((أوكلت إليه في السابق بسبب مقدرته ونشاطه في هذه الخطة، و قرّر أن يتولى الخطبة بنفسه حسب العادة التي جرى عليها العمل من السادات الأولين مثل سيدي سعيد وابنه))، وقدَّم ولديه للخطبة ليراهما ويُسَرَّ بهما، فجزع ((سيدي)) محمد بن سيدي هـدى وتألّم مع أنّه بقي يتقاضى صلته، فرفع الخبر إلى إبراهيم خوجة وهو حفيد ((ابن أخت)) الباشا الخزناجي وتعصَّب عليه السوقية وتجاسروا على شيخنا وخاطبوه طالبين منه سماع الخطبة من نائبه ((سيدي محمد بن سيدي هـدى)) زاعمين أنّه هو الخطيب وأرسل إليه الخزناجي توسّلا فتركه ما ينيف على الشهر ثمّ قدّم ابنه الصغير فانتصر النائب بمفتي الحنفية وبقاضي بيت المال ((سيدي)) محمد بن ميمون، وكانت بينه وبين مفتي المالكية ضغطة عداوة لأنّ هذا القاضي كانت له صلة من الجامع الكبير على حضور العلم ولكنّه لا يحضر لدرسه ومع

ذلك يأخذ الصلة، فلمّا تولى شيخنا أمره بالحضور وخّيره فأبى وطلب الرزق فمنعه من قبضه فحقد عليه فاجتمعوا عند مفتي الحنفية ((سيدي)) محمد بن على واستدعوا شيخنا وكلّفوا عليه أن يترك الخطبة لـ((سيدي)) محمد بن هـدى وحده يكون نائبا، فلم يقبل واستغاظ من إلحاحهم عليه وخرج مغضبا عليهم ونزعه من الخلافة وغيرها، ولكن المفتي الحنفي كان يقدح فيه من غير قدرة عليه سوى الأذى باللسان، وصار خدام الجامع يهينونه لأنّ النائب كان يضيّفهم ويتودّد إليهم فلزم المفتي الفراش أياما قلائل بالجنب وتوفي رحمه الله في 16 ذي الحجة سنة 1152هـ[1739م] وخلّف أولادا ذكورا وإناثا ومن الذكور الأكبر سي أحمد الذي هو الآن بمسجد ستنا مريم ويسرد الحديث بزاوية الأندلس، وولده الثاني محمد فقيه نجيب تولى مكان أبيه بالتدريس بجامع ميزومورطو بباب عزون وكان أبوه يجمع بين الفتوى والخطابة والتدريس بالجامع الأعظم، ورواية الحديث بزاوية الأندلس كانت وقت الزوال في ثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان.

[تولية الحاج زروق بن محي الدين بن عبد اللطيف]

وتولى بعده الحاج زروق بن محي الدين بن عبد اللطيف وهو ابن أخت العالم سيدي الحاج المهدي بن الحاج صالح المتقدم ذكره في عَدّ مفاتي المالكية، وكان الحاج زروق شريكي في مجلس سيدي مصطفى العنابي ومجلس سيدي عمار ومجلس سيدي محمد بن نيقرو، وهو المتولي اليوم [أي سنة 1166هـ/ 1753م].

تمّ بحمد الله.

المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة والتعليق:

- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1985.

- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988.

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 وج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998.

- أبو القاسم سعد الله: رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990.

- ألبير ديفو: البنايات الدينية القديمة في مدينة الجزائر، مطبعة جوردان الجزائر 1870

- ألبير ديفو: رفع القبائل لأحد الباشوات المجلة الإفريقية 1869.

- ألبير ديفو: ضريح خضر باشا، المجلة الإفريقية 1872.

- بيار بوايي: المشكلة الكرغلية في إيالة الجزائر، مجلة الغرب الإسلامي والبحر المتوسط، عدد خاص، 1970.

- بيار بوايي: من الباشوات الثلاثيين إلى ثورة علي خوجة داي، المجلة التاريخية)بالفرنسية(، ع495، سنة 1970، ص104.

- جورج دلفان: تاريخ باشوات الجزائر مقتبس من مخطوط أهلي المجلة الآسيوية، إبريل، يونيو1922.

- خليفة حماش: أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ والحضارة

الإسلامية، ضمن كتاب تحية وتقدير للأستاذ خليل الساحلي أوغلو، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات زغوان 1998.

- خليفة حماش: تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ع2، مارس 2003.

- دردور: عنابة 25 قرنا من الحياة اليومية، الجزائر.

- دي قرامون: تاريخ الجزائر تحت السيطرة التركية، مطبعة بوشان باريس.

- ديران كلكيان: القاموس التركي-الفرنسي، مطبعة مهران، استانبول، 1911.

- السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مج2 ،ج3، دار الفكر.

- شارل فيرو: المقرانيين أسياد مجانة، روكاي قسنطينة 1872

- شارل فيرو: زمن انتصاب الحكم التركي بقسنطينة، المجلة الإفريقية 1866.

- صالح العنتري: فريدة مؤنسة في حال دخول الترك قسنطينة تحقيق أحمد سيساوي.

- صديق بن حسن خان القنوجي: أبجد العلوم، ج3، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.

- الصغير بن يوسف: المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي التركي، مج1، تحقيق أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، ط1، 1998.

- طال شوفال: مدينة الجزائر في أواخر القرن 18، باريس 1998.
- فايسات: تاريخ قسنطينة تحت السيطرة التركية، روكاي قسنطينة.
- الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله بيروت.
- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980.
- عبد الله بن محمد الشويهد قانون أسواق مدينة الجزائر، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2006.
- عبد الرحمن بن خلدون، العبر: ج6، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.
- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات، الجزائر، ط7، 1994.
- علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة، ط1، الجزائر، 2007.
- ماسكارنهاس: رواية عبودية جواو ماسكارنهاس في الجزائر 1621-1626 ترجمها من البرتغالية إلى الفرنسية بول تيسيي، منشورات شانديني، ط2، باريس، 1999.
- محمد بن الطيب القادري: التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، بيروت، دار الآفاق الجديدة ،ط1، 1983.
- محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار

الفكر، بيروت.

- محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح التركي إلى الاحتلال الفرنسي دار الفكر.

- محمد علي داهش: العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، طرابلس، ليبيا،ع1، 1996.

- مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين، اعتنى بتصحيحه وتعليق حواشيه نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1934.

- مولاي بلحميسي: تاريخ البحرية الجزائرية في العهد العثماني الجزائر.

- مولاي بلحميسي: غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر 1541م بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية، مجلة الأصالة، ع8، ماي، جوان 1972.

- نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، الجزائر 1965 ص ص 274-288.

- نور الدين عبد القادر: واقعة من الجزائر القديمة: قصة جيرونيمو.

- هايدو: طوبوغرافية وتاريخ عام للجزائر، المجلة الإفريقية 1870.







